عبد الفتاح سارومي

التصوّف

لماذا تركته؟

سارومي عبد الفتاح عبد الوهاب/ إلورن نيجيريا
التصوف لماذا تركته؟
صفحة ١٤٤
الطبعة الثانية ٢٠١٧م/ ١٤٣٨هـ
رقم المؤلف: **٢٣٤٨١٠٣٣٥١٥٤٩+**

استهلال

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ **[سورة البقرة، الآية: ١٥٩ – ١٦٠]**

عن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده فإنه لايقرب من أجل ولا يبعد من رزق أن يقول بحق". **[مسند إمام أحمد حديث الرقم ١١٤٩٢]**.

إهداء

أهدي هذه الرسالة إلى الداعية الكبير أول من قام بالدعوة إلى تحقيق التوحيد ونبذ الشرك والبدع على الوجه الصحيح في بلد إلورن: **فضيلة الشيخ أمين الله إبراهيم** (رحمه الله تعالى).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد.

فلقد يسّر الله لي تأليف كتاب "التصوف ولماذا تركته" وأحمد الله أن جعله محققا للهدف الذى لأجله ألفته، ألا وهو إظهار براءتى الخالصة من التصوف، وبيان للناس ما فيه من البدع والشركيات، فلقي القبول من محبي الحق وأتباعه، جزاهم الله خيرًا، وكذلك نالته الردود من أعداء الحق وأهل الهوى– هداهم الله–ردودا شفاهية وإذاعية وكتابية.

وإنني أدركت تلك الردود ردودًا غير موضوعية، لخلوها من الدفاع والاجابة على الشركيات الموجودة فى التصوف التي أشرت إليها فى كتبهم وأورادهم، وكذلك كانت حالة رجل شارك فى الردود بكتابه "التصوف ولماذا أحببته وأتخذته طريقا" فلما حصلت عليه أدركت أنه لا يستحق الجواب ولم أجد إلى ذلك سبيلا، لما فيه من الاغلوطات التعبيرية والكتابية التى تنبئ أن الكاتب لا يستحق نيل الشهادة الإعدادية المتوسطة،

فضلا أن يشارك فى الرد الكتابي ولخروجه عن الموضوع إلى أمور أخرى.

ولما انتهت الطبعة الأولى فكثر عليّ الالحاح من الناس – القاصى والداني– بطلب حصول على نسخة الكتاب، عزمت الطبعة الثانية فقمت بتصحيح الأخطاء الناجمة فى الأولى، وزدتها ببعض إضافات بسيطة واستدراكات مهمة مما يزيد رونقها، فحذفت الواو في إسم الكتاب لأنه أفصح وأنسب بالقواعد البلاغية فسميته "التصوّف لماذا تركته".

فأسأل الله تعالى أن ينفع هذا الكتاب المسلمين عامة والصوفية خاصة إنه قادر على ذلك، وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم لا ينفع مال ولا بنون.

عبد الفتاح عبد الوهاب سارومي
مساء يوم الخمس ذو الحجة ١٤٣٥هـ
الموافق ٤/سبتمر ٢٠١٤م.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنامن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلاالله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَّدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٠-٧١]

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي مُحَّد صلي الله عليه وسلم وشرّ الأمور محدثاتها فإن كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إن أفضل ما يحمد الإنسان ربه عليه نعمة الإسلام والإيمان لاسيما إذا أنعم عليه بتخلص من عقيدة رديئة بعد تعمقه فيها، فتمسك بالعقيدة الصحيحة الإسلامية عقيدة

السلف الصالح عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا يتم هذا الشكر لله سبحانه وتعالي حتى يبين للناس ما قد مرّ عليه من العقيدة الباطلة ويظهر الأخطار المتعلقة بها بمقدار طاقته اللسانية والكتابية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ **[سورة البقرة، الآية: ١٥٩– ١٦٠]**

وبهاتين الايتين نفهم أن إصلاح المفاسد لايتم إلا ببيان أخطار تلك المفسدة للناس ليتخلوا عنها، لاسيما إذا كانت مما يمس بالعقيدة. ومما لا يخفى على طالب العلم الباحث عن الحق تراجع كثير من العلماء عن الباطل واعتناقهم الحق بعد ما تبين لهم مع أنهم حملة رأية الباطل وناصروه وقت انخراطهم فيه أذكر على سبيل المثال الإمام أبو الحسن الأشعري–رحمه الله– الذي تراجع عن عقيدة الاعتزال بعد ما قضى فيها أربعين سنة رئيسا ثم انتقل إلى عقيدة إثبات الصفات السبع عن طريق العقل والتأويل وغيرها من الصفات وهى عقيدة الأشاعرة الموجودة حتى اليوم، وتراجع عنها مع أنه مؤسسها فألف كتابه المسمى بـالإبانة عن أصول الديانة. وهكذا أظهر الإمام أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي–

رحمه الله- تراجعه عن علم الكلام أواخر حياته بكتابه "إلجام العوام". والسيد حسين الموسوي الشيعي قد تراجع بعد إدراكه أن فرقة الشيعة من الفرق الضالة فكتب كتابه "لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار" ولم يصده طول معاشرته معهم ومدافعته عن ذلك المنهج وحمايته لهم والنظر إلى علاقته الأصلية معهم. وكذلك لايخفي تراجع الدكتور مُحَّمد تقي الذين الهلالي عن التصوف بتأليف كتابه "الهدية الهادئة إلى الطائفة التيجانية،بعد اغتراقه في لجج التصوف، وتوطيد علاقته مع المتصوفين.

فلهذا أرى من الواجب أن أبين للناس بعض ما مررت به عند ما كنت في الطريقة الصوفية ليكون ردا على الأعمال التي قمت بها وقتئذ وتراجعا عنها وليكون تبرئة ممن اتخذني قدوة واعتنق التصوف أو زاد حبا له بواسطتي، فعنوان هذه الرسالة "التصوف ولماذا تركته" أسأل الله تعالى أن ينتفع بها المسلمون بصفة عامة والصوفية بصفة خاصة إنه ولي ذلك والقادر عليه، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

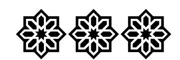
عبد الفتاح عبد الوهاب سارومي

مدخل الرسالة

ولقد شاعت الأخبار في آفاق بلدنا منذ أربع سنوات قبل أن ينبعث قلبي على كتابة هذه الرسالة أنني قمت ضد المتصوفين ورددت عليهم حتى أخرجت كتابا لنقد مذهبهم، فيأتيني بعض الإخوة الصوفية من بلاد شتى سائلين عما كتبت ردا عليهم، وكنت أستغرب من هذا الخبر المخالف للواقع ولم أعرف سبب هذه الأقاويل إلا بعد مدة يسيرة عندما زارني زائر صوفي من لاغوس يسألني قائلا: "لماذا تركت التصوّف؟ وطلب مني الكتاب الذي كتبت عنه، فأجبته قائلا: سبحان الله هذا بهتان عظيم، ثم قال بعد ما تناقشنا بعض الأمور عن التصوف: أنت الذي أوقعت نفسك في هذه المشكلة وجعلت الناس يتهمونك ويفترون عليك فرية أنت منها بريئ، فسألته كيف هذا؟ قال: بإعفاء لحيتك الوفيرة وعدم إسبال سروالك، وقلت: أليست هذه اللحية وعدم إسبال الإزار من السنة؟ وأخرجت له الكتب التي أشارت إلى دليلهما فسكت، فبهت الذي جهل. فلما خلصني الله من التصوف وعقائده ونور قلبي بالتمسك بسنة النبي –ﷺ– رأيت من الواجب علي تأليف كتاب أبين فيه ما دفعني إلى التصوف وأذكر أحوالي وتجاربي فيه بعد ما تم انضمامي إلى المتصوفين التيجانيين ثم القادريين، وأختم

كلامي بالتطرق إلى سبب تجردي عنهما وتخلصي منهما تخلصا تاما.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يبدل السيئات التي قدمتها حسنات بعد أن أتوب إليه متابا، وأن ينفع المسلمين بهذه الرسالة ويهدي بها المتصوفين إلى سواء السبيل إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو نعم المولى ونعم النصير.



الدافع إلى التصوف والمراحل التي مررت بها

بعد تخرجي من المدرسة الابتدائية الحكومية إلتحقت بمدرسة دار العلوم لجبهة العلماء والأئمة بإلورن لبداية الدراسات الإسلامية واللغة العربية، وعندما كنت في المراحل الإعدادية كان أحد أساتذتنا-أحسن الله إليهم جميعا- يرغبنا في التقرب إلى الله تعالى ويقص علينا القصص المتنوعة المملوءة بالعجائب والغرائب يصف لنا بها أن لله أولياء إذا سألوه أعطاهم، وإذا غضبوا غضب الله لغضبهم وإذا رضوا رضي الله برضاهم، فتعلقت أشواقنا -نحن الطلبة- بالولاية الإلهية ومالت قلوبنا إلى نيل الكرامات العجيبة، فكان الاستاذ أحيانا يأتي بأمور غيبية حيث يشير إلى بعض الطلاب ويقول: هذا سيكون له شأن عظيم في المستقبل، ويصرّح أحيانا لبعضنا أن يترك تعلم اللغة العربية لأنه لاينتفع بها في حياته، ويقول طورا لبعضنا أن يتخصص في الحرفة تكون خيرا له فيرضى بعضنا بهذه الظاهرة وينكمش بعض. وذات يوم لما انتهى من مثل هذا الكلام لم يلقنا الصبر والسكينة فسأله أحدنا قائلا: يا أستاذنا بالله عليك، كيف عرفت هذه الأمور الغيبية فأجاب بكتابة بيت شعر على السبورة وهو كالاتي:

وإذا الـقلــب قـد صــفـــا ** حقيقــا شــاهــد ما خـفــا

فما إن سكت الطالب السائل حتى قلت: إذن يا أستاذ كيف نصفي نفوسنا؟ فتبسم ضاحكا فقال:تصفو نفوسكم بالأذكار الكثيرة والجلوس مع الذاكرين الصوفيين، ومن هنا بدأت أبحث عن الذاكرين الصوفيين حتى وُفقت بالعثر على ضالتي عند بعض أقراني فرافقتهم مساء يوم جمعة بعد صلاة العصر مباشرة إلى حلقة الذكر في حارة (أدبتا) (Adabata) وقد كنت أنتظر هذا اليوم انتظار الحبيبين يوم زفافهما، فجالستهم أنظر إلى حركاتهم وميولهم يمينا وشمالا، ولم أستطع قراءة أذكارهم ما عدا (لا إلـه إلا لله) و (الله الله) ثم طلبت كتابة ما أعجزتني قراءته من الأذكار من أحد الحاضرين، فأبى أن يكتبها لي بحجة أني حضرت الحلقة لأول يوم. فلهذا لازمت حضورها كل مساء يوميا فبدأت أبشر نفسي بأنني سأبلغ منزلة الولاية وأنال الكرامة.

المرحلة الأولى في الطريقة التيجانية وسبب رفضها

بعد مرور أيام على حضور حلقة الذكر حصلت من أحد أصدقائي المتصوفين على ورقة مكتوبة فيها صلاة جوهرة الكمال كنت أنظر إليها أثناء قراءتها في الزاوية، وذات يوم وُفقت بالجلوس في الصف الأول بين الحلقة ورأيت ثوبا أبيض مبسوطا فى وسطها فتعجبت من هذا الثوب فبدأت أتسائل نفسي: ما أهمية هذا الثوب؟ ما عمله هنا؟ ما. ما.. ما..؟ ومباشرة بعد فراغنا من الأذكار سألت زملائي المتصوفين عن أهمية هذا الثوب فأجابني أحدهم بأن رسول الله-ﷺ- يأتي ويجلس عليه، فاعترض عليه الثاني قائلا: بل يأتي إليه الشيخ أحمد التيجاني، فكذبهما الثالث وقال إنما يأتي الشيخ إبراهيم نياس ويجلس عليه أثناء الذكر، فتعجبت من هذه التعرضات الواقعة في أجوبتهم لسؤال واحد، فقال أكبرنا سنا: لا فرق بين الرسول-ﷺ- والشيخ أحمد التيجاني والشيخ إبراهيم نياس بل كلهم واحد، فاستغربت كيف يكون ثلاثة أشخاص شخصا واحدا مع اختلاف أسمائهم وتباين عصورهم، ولم أزل أستمر في مرافقتي معهم يوما بعد يوم حتى إشتريت سبحة مزينة بالقطن المتنوع، ثم شاء الله أن حفظت جوهرة الكمال فصارت قراءتها وردا لي حينا بعد حين حتى حذرني أحد المريدين في الطريقة التيجانية من قراءتها فقال:

إن قراءتها بدون الوضوء تسبب لقارئها اصطدام السيارة لشدة قوتها. فرفعت هذا الخبر العجيب إلى أصدقائي في الطريقة فصدقوا قوله وأقروه، فنال هذا الذكر في قلبي منزلة لم ينلها القران الكريم.

وذات يوم كنت داخل سيارة أقرأ تلك الصلاة: جوهرة الكمال داخلها أكررها وأرددها بدون الوضوء نسيانا، وبعد ما تنبهت أخشى اصطدام السيارة ولم يحصل شئ لا اصطدام السيارة ولا تعطلها في الطريق، وفي يوم آخر تعمدت قراءة هذه الصلاة في السيارة بدون وضوء ولم يحصل شئ أيضا، فأخبرت أصدقائي بكذب كلامهم، فبهذا بدأ نور هذه الطريقة يتضاءل في قلبي.

وهناك شئ آخر كنت أستغرب منه هو أن مقدم تلك الزاوية لايحضر الحلقة الذكرية إنما يكون في غرقته مع الفتيات حوله يمينا وشمالا، وكنا نزوره بعد انتهاء الذكر فيدعو لنا، فبحثت عند زملائي عن تلك البنات والفتيات الجالسات حوله، هل هن أزواجه فقالوا: لا، إنهن مريداته يتكلم معهن.

فبهذه الحالة السيئة انطفأت نار حب حضور تلك الزاوية في قلبى، وكلما رغبني أصدقائي في الذهاب إليها رفصت وقلت لهم ليس لي وقت لحضور تلك الزاوية التي لا يجالس مقدمها إلا النساء في الغرفة فتر كوني وهجروا ندائي إليها.

❀❀❀

الدافع إلى الطريقة القادرية

ما زالت كراهية الطريقة التيجانية ثابتة فى قلبي لما لقيت فيها من المنكر الذي قام به رئيسها، وذات يوم كنت مع صديق لي وهو يتكلم حول الإسلام فشرعنا في الكلام عن المتصوفين فبينت له ما لقيته منهم حتى هجرت الزاوية، فأفادنى علما أنه توجد طريقة صوفية أخرى ليست مثل التي تركت وهي طريقة متجنبة المنكرات والفحشاء، وهي الطريقة القادرية، ثم بدأ يصف مقدمها بالتقوى والزهد... وانتهى إلى أنه لا يمكن للجاهل أن يكون مريدا في هذه الطريقة ولا مجال فيها للفساد الذي ملأت به الطريقة التيجانية، فعزمت مرافقته إليها بعد صلاة الجمعة ثم بعد ذلك اليوم لازمت حضور مجلس الذكر بعد كل صلاة الصبح وبعد صلاة الجمعة، وألفيت الطريقة كما وُصفت ورأيت الحلقة مليئة بالكبراء يذكرون الله بكل الخضوع والخشوع، وبهذه الظاهرة الجميلة تم انضمامي إلى القادريين ثم نلت كتاب الأوراد والأحزاب وحفظت ما فيه ثم تعلمت كيفية قراءة القصائد الصوفية وضرب طبلهم (بندير).

المرحلة الثانية في الطريقة القادرية

بعد إتقاني ضرب الطبل المسمى (بندير) وقراءة القصائد بدأت أحضر الحلقات الذكرية المختلفة بقصد التقرب إلى الله، فأذكر الله بضرب البندير، ومما زاد حبي لهذه الطريقة أن قوادها وشيوخها يحترمون العلم ويتركون مجالا لإظهاره، وإذا علموا أن لمريد معين موهبة علمية كنظم القوافي الشعرية يشجعونه ويطلبون منه القصيدة في المناسبات ويكرمونه بالهدايا المالية.

فلهذا تطورت موهبتي الشعرية إلى شعر التصوف، وكنت أكتب قصيدة الثناء على الله أحيانا والصلاة على النبي أطوارا، والتوسل والاستغاثة بالشيوخ الصوفيين حتى جمعتها في موضع واحد وأصبحت ديوانا سميته بـ "فواكه الصالحين القادرية" ونشرتها في جنوب نيجيريا وشمالها، وسأعرض للقارئ بعض هذه القصائد في محلها إن شاء الله تعالى.

ولست مكتفيا بهذه الأعمال والحركات الصوفية الظاهرة فحسب إنما كنت ألازم الأذكار الداخلية حيث كنت أدخل الخلوات لتزكية النفس وتربيتها وترقيتها فأقضي فيها ثلاثة أيام أو سبعة حينا آخر بدون خروج لصلاة الجماعة ولا الجمعة إذا كانت سبعة أيام فأطبق فيها شروط خلوة الصوفية باختيار مكان خال مظلم بعيد عن الصوت، أو أصدّ أذني

بالعمامة لئلا أسمع مايجرى في العالم الإنساني، وأجتنب أكل كل ذات روح من الحيوانات، وأكون صائما نهارا مدة الأيام فيها، فهذه التجربة دفعتني إلى كتابة قصيدة عنوانها "النفس وعلاجها" وسوف يأتى عرض بعضها في موضعه المناسب إن شاء الله.

ومن الأعمال والتصرفات التي كنت ألازمها حضور حفلات مولد النبي-ﷺ- ناويا به التقرب إلى الله تعالى، فأجبر نفسي على حضورها مهما بعُد مكان إقامتها حتى كنت أسافر من مدينة إلورن (مدينتي) إلى لاغوس وإبادن وأحيانا إلى بعض الولايات الشمالية راجيا ثوابا غفيرا من الله واستجابة الدعاء بزيارة قبور مشايخ الصوفية والدعاء فيها، معتقدا أن زيارة القبور بهذه الصورة التي كنا نقوم بها عبادة لله تعالى، فكنت أعتقد في حضور مثل هذه الحفلات إظهار حب النبي مُحَّد-ﷺ- والتعظيم له، وأحسبه جهادا في سبيل الله حسب ما سمعته عند شيوخنا، وكنت أزعم أن من قضى نحبه أثناء سفره إلى مثل تلك الحفلات باصطدام السيارة أو غيره فهو شهيد، لذلك كنت أرى أن كل ما أنفقته من المال إليها جهادا بالمال ونفقة في سبيل الله عز وجل.

وقد لعبتُ دورا فعالا لما تطور الذكر إلى الأذكار الأنفسية، فأصبحت معلما يتعلمها الناس مني بحفظ

قصائدها وكيفية ترتيب حركاتها، فيأتيني الناس ليتعلموا هذه القصائد ونغماتها ويدعوني الصوفيون إلى حضور زواياهم وحفلات مولد النبي-ﷺ-لأكون رائدا في الأذكار الأنفاسية فأصبح شرفي بين القادريين زائدا.

ولهذه المجهودات المبذولة دعاني شيخي ذات يوم أنه يريد أن يجعلني مقدما فتكون لي زاويتي الخاصة، ولكن رفضت ذلك كراهية للرئاسة، واستغرب الشيخ فسألني ما سبب رفضك لهذه المنزلة الكريمة التي كان الناس ينفقون الأموال الطائلة لنيلها؟ وأجبت بصوت خاضع: بأن هدفي في التصوّف ليس لطلب الرئاسة والمنزلة إنما أرجو فيه رضوان الله تعالى وولايته، وتعجب الشيخ من أمري ودعى الله لي قائلا بارك الله فيك.

ولا يكتمل الكلام عن هذه المرحلة بدون ذكر الحوار الذي جرى بيني وبين الأخ الإمام عبد الغني جمعة غِيوَا–Giwa في حفلة مولد النبيّ في حارة (بوبو إبننا-Popo Igbonna) كان هذا الأخ يسألني عن حجة احتفال بمولد النبي بدليل من الكتاب والسنة، وعن دليل جواز ضرب الطبل (البندير) مع الذكر، فحاولت الجواب عن المسألتين بقدر طاقتي العلمية ولم أستطع إقناعه، ثم واصلت البحث وكنت أقرأ كتب الصوفيّة

التي تناولت هاتين المسألتين ولم أجد دليلا ثابتا من الكتاب والسنة.

وعلى هذه الحالة فزت بالقبول في جامعة الحكمة إلورن نيجيريا لمواصلة الدراسة الجامعية، قبل سفرى إلى سودان لاكمال دراستى الجامعية فصادفت فيها أناسا ينكرون التصوف ويخرجون الخلوة من ضمن العبادة في الإسلام ويعدون الذكر الجماعي بدعة، وما من يوم كنت أناقش هؤلاء الإخوة بما قرأته حجة من كتب الصوفية إلا ردوا علي ردًا واضحا مفحما بأدلة الكتاب والسنة، فأجد في نفسي القلق والروع، ثم أستمر البحث في الكتب المتنوعة وعند كل ما تمنيت له الاعتناء بالعلم وبقراءة كتب الصوفيّة، وإذا جمعت حجج الصوفية فوازنتها أو قارنتها بأدلة هولاء الزملاء أهل السنة في المسائل التي ناقشنا أدرك أن الصوفية يعتمدون على الأدلة العقلية والتأويلات الخارجة عن الموضوع، وأدلة أهل السنة تعتمد على الكتاب والسنة.

ومن هنا توغل الشك في نفسي بعد ما قد قضيت عشر سنين في التصوف فنويت البحث الدقيق في الأدلة التي اعتمد عليها التصوّف عامة والطريقة القادرية خاصة، والحمد لله إستطعت البحث فحصلت على النتيجة الباهرة، ومن ضمن مابحثت فيه: التصوف لغة واصطلاحا ونشأة التضوف، وعن

البيعة عند الصوفية، وتربية النفس عند الصوفية، والاستغاثة بمشايخ الصوفيّة والتوسل بهم، والذكر الجماعي، والصلاة على النبي وغير هذه من الأمور المتعلقة بالتصوف والصوفية قديما وحديثا.



تعريف التصوف لغة:

بعد ما رضيت نفسي بالبحث وتّم ميلها إلى معرفة الأدلة والحجج التى قام عليها التصوف إتصلت بالكتب الصوفية ومراجعهم بعد انعقاد الحوار مع مشايخهم، وأول ما بحثت فيه معنى كلمة التصوف لغةً واصطلاحًا وأخذت المعاجم العربية المختلفة مرجعا لحصول على معانيه لغة وكتب الصوفية مرجعا لمعرفة معناه الإصطلاحى، وها هو كما جرى فى كتب معاجم العربية وقواميسها:

١- التصوّف: أصله فى اللغة من الصوف وما أشبهه قال الجوهري الصوف للشاة والصوفة أخص منه، وقال ابن سيده: الصوف للغنم كالشعر للمعز والوبر للإبل والجمع أصواف وقد يقال الصوفي للواحدة على تسمية الطائفة باسم الجميع حكاه سيبويه:

حلبـــانة ركبانة صفوف ** تخلط بيـــن وبر وصـــوف[1]

والصوفة كل من ولي شيئا من عمل البيت وهم صوفان، وقال الجوهري: وصوفة أبو حي من مضر وهو الغوث بن مرة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر كانوا يخدمون الكعبة فى الجاهلية ويجيزون الحاج أن يفيضوا بهم، وفيهم يقول أموس بن مغراء السعدي:-

---

[1] - **لسان العرب جـ ٩ صـ ١٩٩ الصحاح فى اللغة والعلوم جـ ١ صـ ٧٤٦ وترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير. جـ الثاني صـ ٨٦٩**

ولا يريمون فى التعريف موقفهم ** حتى يقال أجيزوا آل صوفانا [1]

٢- وقال صاحب معجم "المصباح المنير": وإذا قيل تصوّف الرجل وهو صوفي وقوم صوفية كلمة مولّدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق فى اللغة العربية. [2]

٣- صوف الكبش: يصْوَف- صوفا كثر صوفه، صوّفه تصويفا جعله صوفيا وأصاف الله عني شر إصافة بمعنى أماله، وتصوّف صار صوفيا وتخلق بأخلاق الصوفية. [3]

٤- صوّف: كبش صاف كثير الصوف وأخذ يصوف رقبته وصاف رقبته، [4]

٥- صوّف: النبات: ظهر عليه ما يشبه الصوف. وفلانا جعله من الصوفية، والصوف: الشعر يغطى جلد الضأن، ويمتاز بدقته وطوله وتموجه. [5]

٦- وقال القشيري: وهو من كبار الصوفية "إن أظهر معنى التصوف أنه كاللقب" [6]

---

[1] **- لسان العرب جـ ٩ صـ ٢٠٠**

[2] **- المصباح المنير صـ ٣٥٢**

[3] **- محيط المحيط صـ ٥٢٤ – ٥٢٤**

[4] **المشوف المعلم، جـ ١ – صـ**

[5] **معجم الوسيط – صـ ٥٥٤**

[6] **- الرسالة القشيرية جـ: ٥٥٠**

٧- ويثبت بعض المتصوّفين: أن التصوف أخذ من الصفاء بمعنى خلوص الباطن من الشهوات والكدرات.[1]

قلت: من ضمن هذه التعريفات المختلفة يتبين أن معنى التصوف لغة يرجع إلى صوف الغنم، ومن ولي بخدمة بيت الله فيقال تصوّف إذا لبس الإنسان الصوف او اعتتنى بخدمة بيت الله او تخلق بخلق صاف، ومال بعض إلى أن التصوّف ليس له قياس فى اللغة العربية، وأيّد هذا الرأي أحد من كبار الصوفي الشيخ القشيري، فأستمر إلى التعريف الإصطلاحي للتصوف عند المتصوفين وغيرهم لتوضح لنا صورته الحقيقية.



[1]- مفهوم التصوف صـ: ١١

تعريف التصوّف اصطلاحا

لما شرعت فى البحث عن تعريف التصوّف الاصطلاحى أدركت أن لكل عالم من علماء الصوفية تعريفًا خاصًا يتمسك به أتباعه فى الطريقة، فلهذا تنوعت تعريفاته بدون التركيز على تعريف واحد بل يختلف مفهوم تعريف عالم عن الآخر اختلافا تاما وهي كما تلي:

١- سُئل الإمام الجنيد[١] عن التصوف فقال: "التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة".[٢]

٢- قال أبو مُحَمَّد الجرير:[٣] "التصوف هو الدخول فى كل خلق سني والخروج عن كل خلق دني".[٤]

٣- وقال عمرو بن عثمان المكي[٥] لما سئل عن التصوف فقال: أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى به فى الوقت".[٦]

---

[١]- الجنيد بن مُحَمَّد أبو القاسم الخزاز توفى سنة سبع وتسعين ومائتين ٢٩٧هـ

[٢]- طبقات الصوفية صـ ١٥٥

[٣]- أحمد بن مُحَمَّد بن الحسين وقيل اسمه الحسن بن مُحَمَّد كان من كبار أصحاب الجنيد، مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

[٤]- الرسالة القشيرية جـ ٢ صـ ٥٥١

[٥]- صحب أبا سعيد الخراز وغيره مات ببغداد إحدى وتسعين بعد المائتين ٢٩١هـ.

[٦]- المرجع السابق جـ ٣، صـ ٥٥

٤- والتصوف عند رويم هو "إسترسال النفس مع الله على ما يريده"[١].

٥- يقول الإمام الشعراني: "التصوف عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حينما استنارت أفئدتهم بواسطة العمل بالكتاب والسنة...

٦- وقال أيضا: التصوف زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة وآدابها وذلك بمتابعة رسول الله-ﷺ- فى أقواله وأعماله وأحواله.[٢]

٧- والإمام الطوسي يقول: "التصوّف هو تصفية القلوب من الأكدار واستعمال الخلق مع الخليقة واتباع الرسول فى الشريعة"[٣].

٨- وقال الطوسى أيضا – التصوف عدم الإملاك والخروج من رق الصفات والاستغناء بخالق السموات.[٤] ثم قال من أصفاهم بالصفاء فى صفاتهم وصفاءهم من صفاتهم فسموا صوفية.

٩- قال الشيخ الشبلي: بدأ التصوّف معرفة الله ونهايته توحيد الله[٥]

---

[١]- رويم بن أحمد بن يزيد توفي سنة ثلاث وثلاثمائة ٣٠٣هـ

[٢]- التصوف الإسلامي الخالص. صـ ١٢.

[٣]- التصوف الإسلامي منهجا وسلوكا. ١٢

[٤]- التصوف الإسلامي منهجا وسلوكا. ١٢

[٥]- التصوف الإسلامي منهجا وسلوكا. ١٢

١٠- وبروفيسر عبد الرحمن أحمد فى كتابه (الطرق الصوفية بالسودان)يقول:"التصوف هو إلتقاء مجموعة من الناس لمجموعة من ألوان العبادات تشتمل على أصول الدين وبعض فروعه لقربها من بنائهم النفسي،وأعجبهم بشخصية قدوة فى السلوك محاولين ترسم منهجها والاقتداء بها رضاء بإمامتها وإمارتها عليهم".[١]

١١- وقال صاحب كتاب التصوف الإسلامي الخالص: إن أهل التصوف هم الذاكرون لحديث الفرقة الناجية فأطلق عليهم اسم أهل الزهد ثم أهل التصوف.

قلت: إذا أمعن القارئ النظر فى التعريفات السابقة يلاحظ فيها عدم التناسب وفقدان التوافق فى معانيها ويبدو جليا اختلاف بعضها عن بعض، ففي التعريف الأول لجنيد نفهم منه أن التصوف هو الإيمان بالله وشعور معيته، والتعريف الثاني يرجع مفهوم التصوف إلى التخلق بالأخلاق الحميدة، والتعريف الثالث يشير إلى أنه قيام الإنسان بما يهمه فى الوقت، وأثبت التعريف الرابع أن التصوف هو الإيمان بالقدر، والشيخ الشعراني[٢] فى التعريف الخامس يقول: إنه عبادة مستمدة من الشوق والإلهام من الأولياء، والطوسي فى التعريف السابع يركز على أن التصوف هو تزكية النفس. والشبلي يقول هو معرفة الله وتوحيده.

---

[١]- الطرق الصوفية بالسودان. صـــ ٣

[٢]- عبد الوهاب الشعراني.

وعرف التصوّف بورفيسو عبد الرحمن أحمد أن اجتماع الناس عند شخصية معينة للعبادة واتخاذها قدوة وإماما، والتعريف الأخير يشير إلى أن التصوف هو الزهد.

وإذا كانت تعريفات شيء يدعي أصحابه أنه من الإسلام متفاوتة ووجد بين هذه التعريفات بون شاشع وليس له تعريف جامع مانع، وما ذا يتصور الإنسان المسلم العاقل المثقف الفاهم دينه فهما صحيحا فى هذا الأمر؟. وقد اعترف الجنيد أن التصوف فتنة أو لبس لا خير فيه وهو يقول فى بعض تعريفاته: "التصوف عنوة لا صلح فيها".[1]

ومال بعض الصوفية بعد إدراكهم أن جميع التعريفات التى عرفوا بها التصوف لم يحقق غرضهم فقالوا: إن التصوف هو الإحسان المذكور فى حديث جبريل حين سأل رسول الله- ﷺ- ما هو الإحسان فقال: "هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

قلت لا أدري مناسبة الإحسان مع التصوف، لأن الإحسان سبق تعريفه فى الحديث المذكور وليس فيه ذكر التصوف مباشرة أو غير مباشرة، وكذلك سبقت تعريفات التصوف فلم يكن بينهما أية علاقة، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على عدم

---

[1]- **الرسالة القشيرية ج ٢ ص: ٤٤٢**

ثبوت التصوف فى الإسلام إنما هو دين آخر جاء به أصحابه من تلقاء أنفسهم.

ويحتج بعض الصوفية المعاصرون لإثبات التصوف أنه وضع بعد النبي وأصحابه والتابعين كما وضع علم الفقه ومسائله من فرائض وسنن ومستحبات وكما وضعت المذاهب الأربعة بعد القرون المفضلة.

فالجواب على هذا هو إن علم الفقه الذي وضعت فرائضه وسننه ومستحباته يعتمد على لأدلة من كتاب الله أو سنة النبي ليكون علما فحسب، كما وضع علم النحو والصرف ومسائلهما مع أنهما وجدا فى اللغة العربية قبل كونهما علما، ومع هذا إذا وجد شىء من الفقه يخالف قول الله أو حديث النبي إنما تترك وتهمل تلك المخالفة، وكذلك شأن المذاهب الأربعة التي وضعها الأئمة الأربعة رحمهم الله تكون مذاهبهم معتبرة إذا كانت موافقة للسنة النبوية وإلا فلا، ولا سيما أنه قد صدر من أقوال هذه الأئمة التبرئة[1] من التقليد إياهم دون الدليل.

❁❁❁

[1] - قال أبو حنيفة –رحمه الله-: "إذا صح الحديث فهو مذهبي" "ولا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه". وقال مالك بن أنس –رحمه الله-: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا فى رأيي وكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه".

وقال الشافعي –رحمه الله-: "إذا وجدتم فى كتابي خلاف سنة رسول الله فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت".

إشتقاق نسبة الصوفية

لم تخلو نسبة كلمة الصوفية فى اللغة العربية من الإختلافات كما كانت لتعريف التصوف لغة واصطلاحا لأن فى اشتقافها خمسة آراء أذكرها كل واحدًا تلو آخر مع البيان ومناقشتها:

١- أهل الصفة: نسب بعض العلماء كلمة الصوفية إلى أهل الصفة وهم الفقراء الذين لا مأوى لهم فكانوا يجلسون فى ركن من المسجد النبوي الشريف. قلت: وهذا خطأ من ناحية اللغة ولو كان المتصوفون يدعون الفقر كحال أهل الصفة ونسبتها الصحيحة: صُفيُ كالسنة تكون نسبته سُنِّي.

٢- الصفاء: رجع بعضهم إلى أن الصوفية من الصفاء فلهذا يدعون إهتمامهم بالتصفية وتزكية النفس. قلت: فهذا الرأي بعيد جدا عن الصواب فإن القياس الصحيح صَفَائِي كسناء تكون نسبته سَنَائِيُ.

٣- الصَّفْوَة: بمعنى أن الصوفية نسبة كلمة الصفوة وهذا الرأي أيضا فيه خطأ، فالصواب صَفَوِيّ كَثَرْوَة تكون نسبتها ثَرَوِيُ.

وقال أحمد بن حنبلي –رحمه الله–: "لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا". صفة صلاة النبي للألباني صــــ ٢٥-٦٤.

٤- الصوفة: نُسب الصوفية إلى الصوفة وهو رجل انقطع إلى خدمة بيت الله الحرام اسمه الغوث بن مرة. قلت: هذا الرأي صحيح من الناحية اللغوية أن يكون صوفي نسبة للصوفة كما يكون كُوفِيٌّ نسبة للكوفة وهذا الرأي مال إليه ابن الجوزي[١] ولم يوافقه الشيخ ابن تيمية.[٢]

٥- الصوف: ومال قوم من الصوفية إلى أنهم منسوبون إلى صوف الغنم منهم عبد القاهر عبد الله بن مُحَمَّد السكري الصديق السهرودي[٣] وأيّد هذا الرأي ابن خلدون فى مقدمته[٤] وكذلك رجح هذا القول زكي مبارك فى كتابه التصوف الإسلامي[٥] وأمثالهم.

[١]- عبد الرحمن بن علي الحافظ المفسر شيخ الإسلام ولد سنة ٥١٠هـ صاحب التصانيف منها زاد الميسر وتذكرة الأريب والموضوعات والضعفاء، وتلبيس إبليس، المتوفى ٥٩٧هـ.

[٢]-أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ

[٣]- عبد القاهر بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عمويه الصوفي، ولد في صفر سنة ٤٩٠هـ، وتوفي ٥٦٣هـ

[٤]- مقدمة ابن خلدون صـ ٤٦٨، عبد الرحمن بن مُحَمَّد ابن الخلدون توفى ٨٠٨هـ

[٥]- التصوّف الإسلامي. جـ ١ صـ ٤٢

قلت: هذا الرأي موافق من الناحية اللغوية أيضا، وسبب الترجيح هذا الرأي من بعض الصوفية أن الصوف لباس الأنبياء عليهم السلام — وأنه لباس الصحابة رضي الله عنهم ويؤيد هذا القول ما روي عن ابن بردة بن أبي موسى عن أبيه قال يا بني لو رأيتنا ونحن مع النبي-ﷺ-وأصابتنا السماء لحسبت أن ريحنا ريح الضان.[١]

وهناك طائفة من المتصوفين أنكروا هذا الرأي ورفضوه فقالوا:إن التصوف لا يهتم بلباس الصوف إنما يعتني بتصفية النفس وتربيتها كأبي الحسن بن بشاء حين مرّ عليه مُحَمَّد بن أخي معروف الكرخي[٢] وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبا مُحَمَّد صوّفت قلبك أو جسمك، صوّفْ قلبك والبس القوهي على القوهي بمعنى الثياب البيض.[٣]

ومن الذين أنكروا نسبة الصوفية إلى لبس صوف الغنم أبو الفتح البستي[٤] يقول فى شعره:

تنازع الناس فى الصوفي واختلفوا ** فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الإسم غير فتى صافي وصوفي حتى سمى الصّوفي**

---

[١]- مسند إمام أحمد حديث الرقم ١٩٧٧٤

[٢]- معروف الكرخي أبو محفوظ واسم أبيه فيروز وقيل فيرزان.

[٣]- التجانية دراسة لاهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة.

[٤]- علي بن مُحَمَّد بن الحسين بن يوسف البستى الشاعر المشهور توفي سنة ٤٠١هـ

وكذلك الشيخ عثمان بن فودي لم يرض بانتساب الصوفية إلى لبس صوف الغنم قال فى قصيدته المشهورة:

ليس التصوّف لبس الصوف والخلق ** بل التصوّف حسن الصـــمت والخلق

والبس من اللبس ما تختار أنت وقم جنح الظلام وأجري الدمـع فى الغسق**

ورب لابـس ديباج لا يشـــغل عن ** حب الذي خلـق الإنســـان من علـق

وكم فـتى لابـس للخيـش تحسبـه ** نـاج فـذلك عـن العـارفيـن شقـى

وإن ذلك لم يـحجبه مـلـبـــســـه ** وذا مع اللبـس مأسـور ولم يـفـــق[1]

ومنهم من تحير وغلبته الدهشة فلم يعرف حيث ينسب إليه التصوف وحاول صرف وجوه الناس عن القياس اللغوي وهو صاحب التصوّف الإسلامي الخالص حيث يقول: "أهل التصوف نسبة إلى لبس الصوف أو نسبة إلى الصفاء وذلك لصفاء نفوسهم وقد نسبوها لأهل الصفة وهو الأصح عندنا لأن هذه النسبة تجمع بين الصوف والصفاء والصفة فى مؤدي واحد لأنها من خصائص أهل الصفة وبصرف النظر عن القياس النحوي"[2]

❁❁❁❁

---

[1] - خمسون فريضة.

[2] - التصوف الإسلامي الخالص صـ ٥١

نشأة التصوّف

إن أمر نشأة التصوف كشأن أمر التشيع حيث إن الشيعة يدعون أنه نشأ في عصر الرسول-ﷺ-، وكذلك الصوفية يرجعون كلام نشأة التصوف إلى حياة الرسول وليس لهم حجة يؤيدون بها هذا القول سوى أن رسول الله-ﷺ- عاش زاهدًا وداعيًا إلى الزهد. ويعتبرون الزهد تصوفا، وانظر -أيها القارئ الكريم- لترى ما يدعيه بعضهم،"وإن من آيات القرآن وأحاديث النبي-ﷺ- ما تدل دلالة واضحة على أن التصوف مصدرا إسلاميا صريحا، فقد زهّد القرآن في الدنيا وحث على تقلل منها وقال تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾[2]

---

[1] - سورة الحديد، الآية: ٢٠

[2] - سورة الكهف، الآية: ٤٥

وقال الرسول-ﷺ-: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" وقال: "ازهد فى الدنيا يحبك الله" ثم قال: "كل هذه الأية والأحاديث واضحة المعنى صريحة الدلالة على أن للزهد الذي أخذه الصوفية لأنفسهم أصلا فى كتاب الله وسنة رسوله".[1]

وكذلك يقول ابن خلدون مؤيدا لهذا الرأي وها هو قوله: "وأنه (التصوف) العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه الانفراد عن الخلق فى الخلوة والعبادة".[2]

أقول- هذه الأقوال التي يؤيد بها الصوفية أن التصوف قد نشأ فى حياة الرسول-ﷺ-ويثبتون أنه-ﷺ- وأصحابه مارسوه مع أن هذه الكلمة لم يتكلم بها ولم يسمعها أحد فى حياة الرسول ولا الصحابة وإنما عرفت فى عصر التابعين ولم تكن مشهورة، وإليه يشير مُحَّد البصرى أنه قال رأيت صوفيا فى الطواف وأعطيته شيئا ولم يأخذه".[3] وقد أيّد هذا الأمر قول الشيخ ابن تيمية يقول: "إن لفظ التصوف لم يكن مشهور فى القرون الثلاثة وإنما اشتهر تكلم به بعد ذلك وقد

---

[1]- **التصوف الإسلامي منهجا وسلوكا. صـ ٣١-٣٢**

[2]- **التصوف فى الإسلام منابعه وأطواره صـ ٧**

[3]- **التصوف بين الحق والردود.صـ ١٢**

نقل عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل وابن سليمان الداربي يثبتون بأن أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بني دويرة الصوفية بعض أصحاب بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن.[1]

ومن هنا يبدو أن التصوف ليس له أصل فى الإسلام بل أُبتدع عملا وعلما بعد القرون المفضلة. ويكون الأمر هينا إذا كان مقصورًا على الإسم فحسب، وتكون مضموناتة العلمية والعملية مناسبة وموافقة بالكتاب والسنة ولكن الأمر ليس كذلك، وحتى الزهد الذي يدعيه الصوفية ليس على التي يريدها الإسلام واختلفت ممارسته عما كان عليه الرسول وأصحابه، فلنرجع إلى الصورة الحقيقية للزهد الذى دعا إليه الإسلام لنعرف هل الزهد هو التصوف أم لا.

[1]- **مجموع الفتاوى جـــ ١١ صـــ ٦**

الزهد والتصوف

لقد سبق أن عرضت التعريفات العديدة عن التصوف عند الصوفية وأريد أن ألخصها بهذه السطور أن التصوف: خلق جميل وإيمان بالقدر، أو صفاء النفس، أو عبادة مخترعة من الشوق، وتمسك بالكتاب والسنة حسب زعمهم، أو أمور غير واضحة يعنى اللبس كما عرفه القشيري وأخوض فى الكلام حول الزهد لنعلم هل التصوف أصله الزهد كما يدعيه الصوفية أم لا.

فالزهد لغة زهد فيه وعنه زهد أو زهادة بمعنى أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو[1] لتخرجه منه أو لقلته، والزهادة فى الشئ خلاف رغبة فيه.

واصطلاحا: عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، بمعني[2] آخر أن تترك الدينا لحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الأخرة.

قال ابن تيمية: الزهد المشروع ترك الرغبة فيما لا ينفع في دار لآخرة وهو فضول المباح التى لا يستعان بها على طاعة الله.[3]

---

[1] - المعجم الوسيط: محيط المحيط صـ ٣٨٢

[2] - إحياء علوم الغزالي جـ ٤، صـ ٤١٦

[3] - أمراض القلوب وشفائها جـ صـ ٤٤

وقال أيضا: الزهد النافع المشروع الذى يحبه الله ورسوله هو الزهد فيما لا ينفع فى الأخرة وما يستعان به على ذلك فالزهد فيه نوع من العبادة.[1]

وقال الشيخ هناد[2] بن السرى فى كتابه الزهد "وليس كل نوع من الترك يسمى زهدا، لأن الإنسان قد يترك شيئا مروءةَ وسخاءِ وحسن خلق ولا يسم زهدا، وإنما الزهد يكون فى شئ مرغوب فيه بوجه من الوجوه فمن ترك شيئا ليس مرغوبًا ولا مطلوبا فى نفسه لم يسم زاهدا كمن ترك التراب لا يسمى زاهد.[3]

وعرّف الشيخ ابن تيمية الزهد أنه "انتفاء الإرادة فى شيء إما مع وجود الكراهة له وإما معا عند الإرادة والكراهة بحيث لا يكون مريد له ولا كارهة".[4]

وقد قسم الشيخ ابن الجوزي الزهاد إلى ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: من يزهد فى الدنيا وهو لها مشتاق لكنه يجاهد نفسه وهذا ما يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد.

---

[1] - **جامع الرسائل جـ ٢ صـ ١٤٠**

[2] - **هناد بن السرى أبو السري التميمي توفى في حدود ٢٥٠هـ ولم يتزوج.**

[3] - **الزهد جـ ١ صـ ٣٢**

[4] - **الزهد والورع والعبادة جـ ١ صـ ٥٢**

الدرجة الثانية: أن يزهد فيها طوعا لا يكلّف نفسه ذلك لكنه يرى هذه ويلفت إليها فيكاد يعجب بنفسه ويرى أنه قد ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه كما ترك درهما لأخذ درهمين.

الدرجة الثالثة: وهي العليا أن يزهد طوعا ويزهد فى زهده، فلا يرى أنه ترك شيئا لأنه عرف أن الدنيا ليست بشىء فيكون كمن ترك خرقة وأخذ جوهر فهذا هو الكمال فى الزهد.[١]

فالدين الإسلامي يرغب المسلم فى أن يكون زهده زهدا دينيا خالصا نابعا من العقيدة الصحيحة وفهم سلفنا الصالحين دون إفراط ولا تفريط ليس على صورة الزهد الذى يدعيه الصوفية من الانزواء إلى الزوايا ولزوم الرياضات المعارضة للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية،والإمتناع عن أكل اللحوم والدواب التي أحل الله أكلها وما يخرج منها وإختيار الثياب البالية أو الخرقة، فإن هذه الظاهرة تخالف قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.[٢]

---

[١]- **مختصر منهاج القاصدين صــ ٣٦٥**

[٢]- **سورة الإعراف، الآية: ٣٢**

وقد نهى الإسلام عن مثل هذا الزهد الذى كان عليه الصوفية بحديث أنس-رضي الله عنه-قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي-صلى الله عليه وسلم- فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا: أين نحن من النبي-صلى الله عليه وسلم- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبدا، وقال الآخر أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله-صلى الله عليه وسلم-إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".[١]

فمن هذا المنطلق نفهم أن الزهد الذي يدعيه الصوفية يختلف تماما عن الزهد الذي دعا إليه الإسلام. ولا سيما أن المتصوفين اليوم من أشد الناس طلبا ورغبة في الدنيا وملذاتها فلا يبالون بأي وجه يأتيهم المال من حلال أو حرام، لأجل هذا رسموا أخذ الهدايا من مريديهم.

---

[١] **- صحيح مسلم حديث الرقم ١٤٠١ باب استحباب الزواج لمن تاقت نفسه إليه.**

مصدر تلقي الصوفية فى العبادة

إن الدين الإسلامي وُضع على الأساسين العظيمين فيما يعتقد المسلم ويعمل به هما الكتاب والسنة كما فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] وقال أيضا: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2] ،وغيرهما من الآيات التى تنص على التمسك بكتاب الله وسنة الرسول، وكذلك فى حديث مالك بن أنس قال: قال رسول الله–ﷺ– تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله"[3]

وفى أثناء البحث أدركت أن الصوفية لم يقدّروا هاذين الأساسيين حق قدرهما بل يرون أن للكشف والرؤيا المنامية متزلة رفيعة فى اتخاذه دليلا فى العبادة، وهو ما أشار إليه الشعرانى قائلا: "التصوف عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حينما استنارت أفئدتهم بواسطة العمل بالكتاب والسنة"[4] .

---

[1] - سورة آل عمران، الآية: ٣٢

[2] - سورة الأعراف، الآية: ٣

[3] - مشكاة المصابيح حديث ١٨٦

[4] - التصوف الخالص. ص: ٤٩

وكذلك تعريف الشيخ آدم الإلورى للتصوف وهو يقول "... التصوّف علم وعمل وعاطفة ووجدان وعقيدة وإيمان"[1]
قلت: نفهم بهذين التعريفين ان للصوفية مصدرًا أخر يعتمدون عليه فى العبادة ألا وهو ما أملأت لهم نفسهم وهو المسمى بالعاطفة والوجدان، ولا آدنى شبهة فى ان هذا مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ومنهج أصحاب النبي-ﷺ-. ودعنى أقربك-أيها القارى- إلى معنى الوجدان فى اللغة العربية الموافقة بمعناه الإصطلاحى عند الصوفية: هو عبادة الله بما فى "النفس وقواها الباطنة أو ما يدرك بالقوى الباطنة"[2].

وكيف يصح أن يعبد الله بغير ما أمر به!!! فما أهمية رسالة النبي-ﷺ- إذا كان الإلهام والكشف والوجدان دليلا يعتمد عليه فى العبادة؟. وقد كملت الشريعة الإسلامية بوفاة النبي-ﷺ-، أو ليس هذا تكذيبا لقوله تعالى:﴿...ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ .....﴾[3]

---

[1]- دور التصوف والصوفية، صـ: ٦

[2]- المنجد فى اللغة والعلام ص ٨٨٨ الطبعة الثامنة والثلاثون.

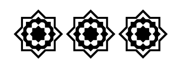
[3]- سورة المائدة، الآية: ٣

وأما أهل السنة والجماعة كانوا وما زالوا على تبجيل وتعظيم كتاب الله وسنة الرسول-ﷺ- فلا يعتقدون أو يعملون شيئا من أمور الدين إلا ما ورد منهما، وكانوا يركزون ويدندنون حول اتباع الرسول ويحذرون الناس من الإبتداع واتباع البدعة فى الدين،واشتهر على ألسنتهم قول النبي-ﷺ- "إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة".

وقد يقول الصوفية: إن هناك بعض الصحابة ناموا ورأو فى منامهم أشياء مما تتعلق بالدين وأصبحت دينا بعد إخبار النبي-ﷺ- عما رأو كالأذان وغيره.

فالجواب هو أن إتيان الصحابة النبي-ﷺ- وإخباره ما رأوا فى المنام وإن أقر الرسول ذلك صار دينا بتقرير رسول الله وهذا ما يسمى بالدليل التقريري، وهو معتبر فى الدين ومن أنواع الحديث النبوى، ولا شك فى أن أحوال الصوفية تختلف عن هذا، لأنه لا يوجد النبي-ﷺ- على قيد الحياة فيعرضوا عليه ما رأو فى منامتهم، ولم يرد أن صحابي رأى شيئا فى منامه بعد وفاة الرسول-ﷺ- فأضافه إلى الدين لا أبوبكر الصديق ولا عمر ولا عثمان ولا عليّ رضى الله عنهم. لأنهم فهموا أن الدين لا بد أن يكون فيه إذن من الله أو رسوله-

ﷺ– قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ... ﴾[1]



[1]- سورة الشورى، الآية: ٢١

الصراع بين الصوفية

إن ما لم يكن له أصل فى الدين الإسلامى من العبادة أو الإعتقاد لن يخلو من الخصومة والإختلاف حتى بين أصحابه ومراوجيه، فقد أدركت أثناء البحث التنازع الواقع عند الصوفية حول التصوّف، هل هو علم أو عمل؟

فالشعراني يقول بأن التصوّف علم فقال: "اعلم يا أخي رحمك الله إن علم التصوف عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حينما استنارت أفئدتهم بواسطة العمل بالكتاب والسنة"[١]

ويؤيده قول سهل التستري[٢] يقول: "أصول علمنا ستة الاقتداء بكتاب الله وسنة رسوله، وأكل الحلال، وكف الأذى وترك الآثام، وأداء الحقوق، واعتقاد أن لا معين إلا الله، ولا دليل إلى الله سوى رسول الله.[٣]

ولهذا وضع مؤيدوا التصوف العلمي القواعد والمبادئ ويزعمون أن واضع التصوف هو الرسول–ﷺ– واستمداده من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين، وحده صدق التوجه إلى الله.

---

[١]- **التصوف الإسلامي الخالص، صـ: ٤٩**

[٢]- **سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى شاهد ذا النون المصرى توفى ٢٨٣هـ.**

[٣]- **المرجع السابق، صـ: ٤٩**

وأنكر هذا القول أبو الحسن النوري ونقده وصرح أن التصوف عمل وها هو يقول: "إن التصوف ليس رسما ولا علما ولكنه خلق لأنه لو كان رسما حصل بالمجاهدة، ولو كان علما حصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله ولن يستطيع أن يقبل على الأخلاق بعلم أو رسم" [١].

وبهذا القول نفهم أن أبا الحسن يثبت أن التصوف خلق والخلق عمل ليس علمًا وتبعه بعض من الصوفيين أمثال مُحَمَّد الجريري بقوله: التصوف هو الدخول فى كل خلق سني والخروج من كل خلق دنىء".

ويقول أبوبكر الكتاني "التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء".

قلت: أيها المتصوف هذه أقوال شيوخ الصوفية وإلى أين تميل هل توافق أنه علم أو عمل. وان قلت: إنه علم وهل علم الرسول-ﷺ- أصحابه إياه، ولو قلت: لا، فكيف تعمل بعمل فى العبادة لم يعمل به الرسول ولا أصحابه، ولو قلت إنه عمل فنقول: من رسمه وهل راسمه الرسول-ﷺ- أو أشخاص معينون فكيف تعبد ربك بشىء لم يتعبد به الرسول وأصحابه.

فهكذا كان أمر التصوّف لم يبرأ من الإختلاف والتناقد حتى بين علماء الصوفية أنفسهم فهذا ما يعجبني من ادعائهم

---

[١]- **مقدمة المنقذ من الضلال، صـ: ١٦**

أنه مستمد من الكتاب والسنة مع أنهم يعتمدون في عبادتهم على الذوق والإلهام والكشف والرؤيا المنامية وما يرسم لهم شيوخهم. فمن حاول تغيير شيء مما بنيت عليه طريقتهم من الأذكار والأوراد المملوءة بالشركيات المبتدعة من تلقاء شيوخهم ليتماشى مع الكتاب والسنة يعدّونه منكرا ومتكبرا عليهم.

وأمرّ مرًا كراما لأكشف للقارئ الكريم حتى يفهم أن كل ما قام عليه الصوفية باطل ما أنزل الله به من سلطان إن يتبعون إلا الظن، وأقول بلسان صدق إن ما يسمى بالتصوف الإسلامي باطل وبطلان ولا يليق أن ينسب إلى الإسلام، كما لا يسيغ نسبة الخوارج والمعتزلة والشيعة إلى الإسلام، لأنه ما من عبادة يأتي بها الصوفية إلا وقد امتزجت بالبدع أو الشركيات، وما التصوف الإسلامي إلا تغيير صورة العبادة الواردة عن رسول الله –ﷺ– وإدخال فيها ما ليس له أصل من الرسول –ﷺ– ولم يكن عليه السلف الصالح.

البيعة عند الصوفية

فالبيعة ركن هام من الأشياء التي بني عليها التصوّف، وقد نالت منزلا وجيها عند الصوفية، وهي العهد يبرمه المريد مع شيخه كما قال أبو الحسن الندوي: أن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة والتوبة عن المعاصي.[١] قلت: وليس مجرد العهد بل تعلقت معها عقائد فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان منها: أنه لا يكون تصوّف المريد معتبرًا إلا بعد هذا العهد، وكذلك لا يكون جميع أذكاره وأوراده مقبولة عند الله بدون البيعة.

وللصوفية شبهات يزعمونها حجة لهم لجواز البيعة من الكتاب والسنة وكذلك أدلة عقلية. ومن القرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٢]. ويستدلون بحديث عبادة من صامت حيث قال: "قال رسول الله -ﷺ- فى بيعة العقبة: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترينه بين أيديكم وبأيمانكم ولا تعصوني فى

---

[١] - ربانية لا رهبانية، صـ: ٩٠

[٢] - سورة الفتح، الآية: ١٠

معروف ومن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه".[١]

ورواية أخرى عن عبادة بن صامت رضي الله عنه قال: "بايعنا رسول الله–ﷺ– على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا، والمنشط والمكره وأثرة علينا وعلى أن لا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفر بواحا عندكم من الله فيه برهان".[٢]

ومما يستدلون به أنه فى العام الأول للهجرة اجتمع بضعة عشر رجلا من المهاجرين ومثل ذلك من الأنصار وتقاسموا بينهم أن يزهدوا فى الدنيا ونعيمها الزائل وأن يعتمدوا على الله وعلى الدار الآخرة وعلى طاعة الله لا سيما فى أوقات السحر والغسق وصنوف العبادات حبا فى الله واقتداء برسوله–ﷺ–.[٣]

قلت: هذه أدلتهم التي يقيسون عليها بيعتهم المبتدعة، وكل من هذه الحجج قياس مع الفارق لأن الآية المذكورة سابقا تشير إلى الذين بايعوا الرسول من أصحابه فى الحديبية على أن لا يفرّوا من لقاء العدو، وكيف يمكن قياس الحرب بأمر الذكر

---

[١]- **صحيح وضعيف الجامع الصغير حديث ٢٦**

[٢]- **البخاري حديث الرقم ٦٦٥٠**

[٣]- **التصوف الخالص، صـ: ٧٣**

شتان ما بين السماوات والأرض، وهذه البيعة وقعت بين الرسول وأصحابه، وهل مشايخ الصوفيه منزلون منزلة الرسول-ﷺ-؟.

أما الحديثان المرويان عن عبادة بن صامت يشيران إلى ما حدث فى بيعة العقبة عند ما بايع الرسول -ﷺ- أصحابه على اجتناب الشرك والسرقة والزنا وقتل الأولاد وليس فيه دليل على أنهم أرادو أن يبدئوا الذكر وأمرهم الرسول بالبيعة.

فأما ما حدث بين المهاجرين والأنصار فى القصة المذكور آنفا باطل ليس له سند والسند من الدين ولولا الإسناد لقال كل أحد ما شاء، ولو افترضت ثبوت القصة إنما هي النذر وليس فيها دليل على البيعة وليس أن واحد قام منهم مقام الرسول فبايع الآخر، فإنما كانوا ينذرون على الزهد والتوكل على الله وطاعة الله ورسوله، فما فيه مانع لأن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله-ﷺ- قال: "من نذر على الطاعة فليطعه فمن نذر أن يعصيه فلا يعصيه[١].

وأما أدلتهم العقلية أنه لا يمكن اعتناق التصوف بدون العهد كما كانت المدرسة أو الكلية أو الجامعة لا يمكن حضور الدرس فيها على الوجه الرسمي وجلوس للامتحان فيها بدون حصول على الإستمارة والقبول فيها.

---

[١]- **صحيح البخاري حديث الرقم ٦٧٠٠**

قلت مجيبا على هذه الشبهة: إن الصوفية قاسوا أمر دنياوي بأمر ديني مع ان الدين أمر توقيفي، ولا ينبغي لأحد أن يدخل فيه ما ليس منه كما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[1].

فنفهم أن ما يمارسه الصوفية من أخذ البيعة قبل بداية الذكر فى الطريقة الصوفية بدعة، لأن رسول الله–ﷺ– لم يأمر بها ولم يشترطها فى الذكر ولم يقيد بها قبوله كما اعتقد الصوفية ولم يقم بها أحد من أصحابه ولا التابعون ولا تابعوا التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

ولا شيئًا حمل الصوفية على تأسيس هذه البدعة فى الدين إلا نية استعباد الناس بإسم الدين ليشعر المريد الجاهل التقرب إلى الله بكونه تحت رعاية شيخه فيقدم له الخدمات، ولن تكون له الحرية الكاملة حتى فى شئون حياته وتصرفاته لأنه يوصيه بأن يرضى أنه صار أبًا له فى الدين من اليوم الذي تمت فيه البيعة بينهما، وهذا ما يشير إليه الدكتور مُحَمَّد الطاهر ميغيرى: "إذا نظرنا إلى هذه الطرق الصوفية ندرك

[1] - صحيح البخاري حديث الرقم ٢٦٩٧

أنها عبارة عن مستعمرات روحية باطنية، يؤسسها هؤلاء الشيوخ على أذهان السذج والبسطاء من دهماء المسلمين[1]

فتعالى معي أيها القارئ لترى صفة أخذ هذه البيعة كما أنقلها من كتاب الفيوضات الربانية قال مؤلفه: "ينبغي أولا أن يجلس المريد تجاه شيخه ملاصقًا ركبتيه بركبتي شيخه واضعا بيده اليمنى بيد شيخه اليمنى بعد صلاة ركعتين نفلا لله تعالى ثم يقرأ الفاتحة لحضرة الأستاذ الأعظم حضرة النّبي- ﷺ- وإلى أخوانه المرسلين والنبيين والآل والأزواج والصلحاء والتابعين وتابعي تابعين والعلماء ومشايخ السلاسل والأقطاب ثم يستمد من روحانيتهم الشريفة الطاهرة المقدسة لتوفيق له والفتوح له ولمريده. ثم يقول الشيخ لمريده قل: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه أشهد الله وملائكته وأنبيائه بأني تائب إلى الله منيب إليه، وأن الطاعة تجمعنا وأن المعصية تفرقنا، عهد الله ورسوله وأن اليد يد شيخنا ثم يقرأ الشيخ "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما" ثم يقول لمريده هذه الشروط يقول لمريده اسمع مني كلمة التوحيد ثلاث مرات ثم يوصيه بعد أن يقبل المريد هذه الشروط يقول له

---

[1]- **الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي، حياته وأراؤه وتعاليمه، صـ ٣٤٢**

الشيخ وأنا أيضا قبلتك لي ولدًا وبايعتك.[1] ... ثم يأمره بحضور الزاوية فيكتب له الأذكار والأوراد المبتدعة سأرجع إليها إن شاء الله فى باب الذكر عند الصوفية ثم يوصيه أن لا يترك هذه الأذكار وأن لا يترك الطريقة أبدا هذا بنسبة الطريقة التيجانية أما القادرية فإنهم لم يدخلوا هذا فى شروطهم وللمريد حرية انتقال من القادرية إلى طريقة أخرى.

ومن شروط البيعة التي اجتمعت عليها طرق الصوفية إيمان المريد بعصمة شيخه وأن لا يرى ولا يتكلم عما رأى عندشيخه من المنكرات أو المخالفات الدينية فعندهم قول شائع: "كن عن شيخك كالميت عند غاسله" بمعنى الطاعة فى كل شيئ، كما يقول ذو النون "ليس مريدا البتة من لم يكن أطوع لأستاذه من ربه[2]. وكذلك قال إبراهيم نياس الكولخي:

واطلب مربيا خبيرًا ناصحًا ** كامل عرفـان إمـامًـا صالحـا

ملكـه نفسك ولا تـدبـر ** وكن كميت دواما تخبـر

ولا تخالفـه ولو بـان فـسا ** د رأيـه فكن دوامًا ذا تسـا[3]

---

[1] - الفيوضات الربائية فى المآثر والأوراد القادرية، صـ: ٢٩- ٣١

[2] - فى التصوف صـــ ٢٥.

[3] - روح الأدب صـــ ١٢-١٣

فهذه البيعة البدعية ليست منهج الصوفية فحسب بل تمسكت بها جماعة الإخوان المسلمون[1] والجماعات التي رأت حسن البنا قدوة ومتبوعا لهم ويتبعون مناهجه وأساليبه الدعوية دون منهج الرسول-ﷺ- وسلف الصالحين، لأن هذه البيعة مهم جدًا فى دعوة حسن البنا حتى وضع له الشروط العشرة، وهي ما تسمى بأركان البيعة.[2]

فهذا السر الموجود فى البيعة الصوفية والفساد المدفون تحت إبرامها، فيجب عليك أيها المريد أن تتفكر فى هذا الأمر هل هو موافق هدي السلف الصالح أم يخالف؟.

---

[1] - لماذا تركت الإخوان المسلمين صــ ٥٦. أبو الحسن عبد الرزاق.

[2] - أركان البيعة وهي عشرة عند حسن البنا: الفهم الإخلاص، العمل، الجهاد، التضحية، الثبات، التجرد، الأخوة، والثقة. انظر كتاب (الحزبية مفهومها، حكمها، وخطرها، قديما وحديثا) صـ ١٠٢.

تربية النفس عند الصوفية

كما سبق أن ذكرت أن الصوفية يدّعون الاهتمام بصفاء القلب وتطهيره، فلهذا حاولوا وضع مناهج تصفية النفوس وسموها التزكية أو التربية أو الترقية بمعنى كيف يربون قلوبهم ويزكونها من الأدران فترتقي إلى المقام الأعلى وتشاهد الأمور الغيبية المنامية بملازمة أذكار وأدعية. وليس فى الإسلام تحديد المقامات والأحوال وتقسيم النفوس لا فى حياة الرسول–ﷺ– وصحابته كلهم والتابعين وتابعي التابعين.

فذو النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥هـــ هو أول من ابتدع فكرة الأحوال والمقامات،[١] فالمقام عند الصوفية معناه: مقام العبد بين يدي الله عز وجل بما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والإنقطاع إلى الله تبارك وتعالى. أما الحال عند الصوفية فهو منزلة تنزل بالقلوب فلا تدوم[٢] فالمقامات هي كما تلي: مقام التوبة،الورع، والزهد،والصبر، والفقر، والشكر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرضا.

والأحوال كما تلي: حال المحبة، والشوق، والقرب، والقبض، والبسط، والفناء والبقاء[٣]. وقسم الصوفية النفوس إلى سبعة

---

[١]- سير أعلام النبلاء جـ ٩ صـــ ٤١٨

[٢]- التصوف الإسلامي جـ ٢، صـ ١٠٦

[٣]- التصوف الخالص، صـ: ١٠١

أقسام وخصصوا صفات معينة لكل النفس ووضعوا أذكار معينة لتربيتها وتزكيتها من الأوصاف المسندة إليها. فعلى سبيل المثال أذكر قسمين فقط فمن أراد أن يعرفها بالدقة فليراجع الكتب الصوفية.

١- النفس الأمارة: وذكرها "لا إله إلا الله" وعدده سبعون ألفا، وصفاتها البخل والحرص والجهل والشر والحسد.

٢- النفس اللوامة: والخلاص منها "الله الله" ستون ألفا، وصفاتها الهوى والمكر والعجب والقهر.[١]

وعلى هذه الصورة قمتُ بتربية نفسي حسب زعمي عند ما كنت فى القادرية، حيث قمت بتكرار قراءة الأذكار المخترعة فى الخلوة. حتى أنشدت قصيدة عنوانها: "النفس وعلاجها" وهي كما تلي:

لا إلـــه إلا اللّـــــه ** دواء النـفـس والـعلـل
أرى النفـــس لها علل ** فعالـجها أذا الجـهـــل
أيـا من نفـس تأمـــره ** بشـرّ الخلـق كـالبخـــل
وحـرص وكـبر إكـــثار ** من الشهـــوات والأمــل
دوائك منهـــا يا صاح ** لتنجو اصـغ إلى القـــول
لتكثر الذكـر أهلـلـه ** لا إلـــه إلا اللـــــــه
ومن الـنفـــس لومتـــه ** بفـكـر السـوء والفعـــل
وقبـض الأمر والـمـال ** وخلق العجب بالشمــــل

---

[١]- الفيوضات الربانية، صـ: ٣٤

واعــتــراض عن ا للـــه ** فلـزم إسـم ذي الأصـــل
بذكـر ألوهيتــه فقـل "الله اللـه" بـلا مـلـــل**[1]

ولما شرعت فى البحث حول حقيقة التزكية فى الإسلام أدركت أنها مما جاء به الإسلام وأرسل الرسول-ﷺ- لمهمتها وقد أشارت إليها آيات القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2] كما يدل عليه قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم-عليه السلام-: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[3].

وقد أقر الإسلام أن لنفس أمراضًا تصيبها كالغضب والحسد والحقد والحرص وكذب وكبر والمكر والعجب والنميمة فقام الرسول الله-ﷺ- بتزكية نفوس أصحابه عليهم رضوان الله من هذه الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنيئة التي كان مغرسها من الشيطان" فلهذا كان الرسول-ﷺ- حذر أصحابه والمسلمين جميعا من الشيطان الرجيم كما فى القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟

---

[1] - فواكه الصالحين القادرية، صـ: ١٨

[2] - سورة الجمعة، الآية: ٣

[3] - سورة البقرة، الأية: ١٢٩

مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[1]. وقد كثرت الآيات التى تنص على شدة عداوة الشيطان للإنسان كقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

فلم يكتف الرسول–ﷺ– بتحذير أصحابه بالقول، بل مهد لهم طريقة أخرى لتزكية نفوسهم من شرور الشيطان لأنه –ﷺ– عرف أن مخالفة الشيطان أصل كل السعادة والرضي والراحة والهدى، وموافقته ومتابعته أصل كل الضلالة والشقاوة والعناء والبلاء كما أثبت قول ابن قيم الجوزية: "لما كانت المعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوات وهما من الشيطان".[3] وكما فى حديث عروة بن زبير أن رسول الله–ﷺ– قال: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذ بلغ ذلك فليستعذ بالله فلينتبه[4] أو فليقل أمنت بالله ورسله.[5]

---

[1]- سورة فاطر، الآية: ٦

[2]- سورة الأعراف، الأية: ١٦– ١٧

[3]- زاد المعاد جـ ٢، صـ ٣٤٩

[4]- سنن أبي داود ٤٧٢١

[5]- صحيح البخاري حديث الرقم ٣٢٧٦

هكذا قام الرسول-ﷺ- بعلاج الأمراض النفسية بمجرد الاستعاذة وبدون تكلّف،هكذا ينبغي أن يفعل المسلم المقتدي لهدي الرسول عندما يشعر بشيء من هذه الأخلاق السيئة وكذلك عالج النبي-ﷺ- مرض الغضب بالتحاول من حال إلى حال آخر كما رواه أبو ذر عن النبي-ﷺ- أنه قال: "إذا غضب أحدكم فهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا ليضطجع".[١] ومن هذا المنطلق أقول بالصراحة أن كل ما اخترعه الصوفية من أدعية التربية والتزكية والترقية وكيفيتها بالخلوة كلها لا أصل لها بل هي بدعة ومحدثة فى الدين وقال-ﷺ- "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".

وبئست تربية الصوفيّة التي تجلب المسلم إلى مخالفة كتاب الله والسنة النبوية وتقربه إلى الشيطان فيعتمد على الرويا المنامية الشيطانية، ويزعم أنه قد بلغ منزلة الولاية، فيستخف بالصلاة والصيام ولا يبالي الوقوع في الشرك والمعاصي، وترى بعضهم يدعي أنه غوث الزمان فيأمر مريديه أن يعتمدوا عليه فى الدنيا والآخرة، فيتزوج أكثر من أربع زوجات مدعي أنه بلغ منزلة مُحَمَّد-ﷺ- ويدعو إلى وحدة الوجود والحلول عقب

[١]- سنن أبي داود حديث الرقم ٤٧٨٢

هذه التربية الشنيعة أن الخالق والمخلوق واحد يعني لا فرق بين الله والناس والجمادات والحيوانات!!! سبحان الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا. وبعضهم إذا قلت: هذا ما قاله الرسول-ﷺ-يقول: سأبحث عن هذه المسألة فى المنام ثم يقول قيل لي: إن هذا يجوز!!!. وأريت أن ما أنا عليه حقًّا مع أنه يخالف سنة النّبي-ﷺ- ولم يشعر أن الشيطان يغريه بالرويا المنامية التي تجوز له البدعة.

الإستغاثة عند الصوفية

ومن أقبح شيئ وأعظم خطر وخلاف لدين الإسلام الذي يمارسه الصوفية هو الإستغاثة بغير الله سبحانه وتعالى، حيث إنهم يدعون شيوخهم لينقذوهم من المصائب والبلوى أو ليقضوا لهم حوائجهم التي لا يقدر عليها إلا الله كطلب استجابة الدعاء وشفاء المرض وكشف الكرب، وهذه كلها من أفعال الله الخالق لا يقدر عليها مخلوق، وطلبها عند المخلوق شرك مع الله تعالى.

وقد كثرت الإستغاثة والإستعانة فى أوراد الصوفية وكتب قصائدهم، وكانوا يحتجون بأن دعوة غير الله لا عيب فيها، لأن مشايخهم لهم حق التصرف فى الكون واستجابة دعوة المضطر إذا كان من مريدهم، فيرون مشروعية الإستعانة والإستغاثة بغير الله.

فتعال معي أيها القارئ الكريم لترى بعض الأقوال الشركية وُجِدَتْ فى الأوراد القادرية الموسومة بحزب فتح البصائر وهى كالأتي:.."وأن تسخرلي عبدك الخضر عليه

السلام يعينني فى قضاء حوائجي ظاهرا وباطنا وسرا وجهرا..."[1]

تدبر أيها القارئ هذه الجملة السابقة تدرك أن فيها الإستعانة بالخضر فى نيل قضاء الحوائج الظاهرة والباطنة، ومن أقبح شئ فى شأن هذه الأوراد الشركية أن المريد يؤمر بقراءتها كل يوم أو مرة فى أسبوع على الأقل.

وكذلك يستغيث الصوفية برسول الله-ﷺ- ويدعونه كأنه-ﷺ- هو الاله الخالق الرازق، تجد هذا في قصائدهم مثل ما قال ناصر الدين الكبرى في قصيدته المشهورة:

يا رسول الله خذ بيدى ** فتداركني وأنت أبى
أنت يا مختار مستندى ** وإليك اليوم منقلبى
شمت الأعدا حبيبكمو ** أترى الأعداء تشمت بى
يا رسول الله يا سندى ** أنا في هم وفي نكبي

يرى القارئ لهذه القصيدة أن صاحبها يستنجد ويستغيث من الرسول-ﷺ- كأن النبي-ﷺ- هو الله، ولاشك أن هذا عين الشرك مع الله تعالى.

وليس هذا فحسب بل هناك القصائد المتنوعة المتضمنة هذه الإستغاثة الشركية تنشد فى الحلقات الذكرية، توجد

[1]- تنشيط الصوفية صـ ١٠, إضاءة البلاد بأنوار الميعاد ١٧-١٨

من هذه القصائد أمر صريح للمريد بدعوة شيوخ الصوفية عند طلبه قضاء حاجته وهي كما تلي:

ويـا من غـدا فى شـدة وكـئـابـــة
فناد على الجيـلان شيخ الطريـقـــة
فقل يا محبـي اقـض لـي ما أريـــده
وأنت ملاذي فى الـورى ووسيلـتـي
فيأتيـك حقــا بالـذي أنت قاصـد
فتمسـي بعـز دائــم ومـســـــرة[1]

ألا ترى أيها ألقــارئ أن القصيدة تدعو المريد إلى تعلق قلبــه مع عبد القادر الـجيلاني عند ما يريد قضاء الحوائج، وهل هذا عبادة أم شرك بالله، وهل هذا يوافق قول الله تعالى في القران "إِياك نعبد وإياك نستعتين" أم يخالفه؟!!

ودعني أذكر قصيدة أخرى فيها دعوة عبد القادر الجيلاني واستغاثة به في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله وهي كالاتي:

يا جيـلانـي جدلــــي ** بالـمـنى والـفـضـــل
يا جيـلانـــي جدلـــي ** بالــعـــطا والـــبـــذل
يا رفـيـــع الـــشـــأن ** إن صـبـــري فـــــان
صلنـي يا جـيـــلانـــي ** رمت نيل الوصـــــــل[2]

---

[1]- إضاءة البلاد بأنوار الميعاد، صـ: ١٢٦

[2]- إضاءة البلاد بأنوار الميعاد، ص: ١٧٨

يا شيخ يا جيـــــلاني هب لي رضـــــاك
جد لي بو صلك واحمني بحمـاك
وارعـــــاني يا كيلاني من كل لحظـــة
ولا تكـلنـــي طرفــة لســـــواك
والله لا أخـشـى الـممــات وهـولـــه
والحشر إذ مأوي تحت لـــواك [1]

أكتفي بذكر هذا القليل من الكثير فمن يريد زيادة المعلومة حول الشركيات التي تمارسها القادرية فليتصل بكتب قصائدهم، وكذلك ملئت أفواه التيجانيين وأتباع النياس الأقوال الشركية وأشهرها:

ياشيخ إبراهيم غوث للــورى ** أغثني بغيثك فالمنى طيف الكرى
من دون فيضك لاأهل للثنا ** ء ولحاجة من فرط ذنب قد جرى
لكننى أعددت حبك سيدى ** فبذالك فالحاجات مقض لا مـرا
فبما استغثت به أغثنى سيدى ** حتى أغثت ففزت للفوز الثـرى

فأشير-في هذا الصدد- للصوفية بعض ما وقفت عليها عند البحث من الآيات القرآنية والأحاديث التي تحرم دعاء والاستغاثة بغير الله تعالى حتى يعلموا أنهم يشركون مع الله شركا مخرجا عن الملة قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

---

[1]- نفس المرجع، صـ: ٤٦-٤٧
[2]- سورة: الشعراء – الأية: ٢١٣

يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١] قال تعالى: ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٢] وقوله جل وعلا: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٣] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ (٧٣) ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[٥]

فلا يوجد أدنى شك في أن هذه الآيات المذكورة تنص على تحريم دعاء غير الله تعالى ملائكة كانت أو جنا أو وليا أو صالحا أو شيخا لأن صرف الدعاء لغيره تعالى شرك معه تعالى في ألوهيته وعبادته وقد بين الرسول-ﷺ- أن الدعاء

---

[١]- سورة يونس، الآية: ١٠٦

[٢]- سورة غافر، الآية: ١٤

[٣]- سورة الأحقاف، الآية: ٤

[٤]- سورة الحج ٧٣

[٥]- سورة الجن، الآنة: ١٨

هو العبادة[1] ولا شك أن صرفه لغير الله شرك اكبر مخرج عن الملة، ومما تجب الاشارة إليه فى هذا الصدد: اعتقاد الصوفية في حقيقة معنى إطلاق القطب أو الغوث على شخص معين أنه هو من يقوم مقام ربنا تعالى فى أفعاله وتدبيره نظام الموجودات. ولاشك أن هذا من أقبح الشرك مع الله سبحانه وتعالى ولكي يكون الأمر واضحا أشير إلى ما قاله شيخ الطريقة التيجانية ومؤسسها عن حقيقة القطب لما سئل عن عنها، وهو كالاتى: "وسالته عن حقيقة القطبانية، فأجاب رضى الله عنه بقوله: إعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقا، فى جميع الوجود جمله وتفصيلا، حينما كان الرب إلها، كان هو خليفة فى تصريف الحكم وتنفيذه، فى كل ماعليه ألوهية الله تعالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق. فلا يصل إلى الخلق شيء كائنا من كان من والخلق إلا بحكم القطب وتوليته، ونيابته عن الحق، وتوصيله كل قيمة إلى محلها لهم ثم قيامه في الوجود

[1] - سنن أبي داود حديث الرقم ١٤٨٠

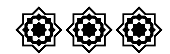
بروحانيته فى كل ذرة من ذرات الوجوه جملة وتفصيلا، فترى الكون فيها أشبا حلاحركه لها، وإنها هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا، وقيامه فيها فى أرواحها وأشباحها، فهو المتصرف فى جميعها والممد لأرجابها"[1].

قلت: ولا شك أن هذه المعتقدات إشراك مع الله تعالى في ربوبيته وأفعاله في الكون ومنقدا لوحدانيته الثانيه فى القرآن قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩١ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٢

أيها القارئ الكريم هذه معتقدات الصوفية فى حقيقة القطبانية والغوثية لاريب فيها أنها محض الشرك مع سالله نسال الله تعالى العافية والسلامة. وهناك شبهات يتمسك بها الصوفية في استغاثاتهم بشيوخهم أذكر منها فى الموضوع

[1]- جواهر المعانى وبلوغ الامانى ص ١٥٩.

التالي، فأتبعه بالرّد البياني لكي يتضح الأمر لكلّ من أراد الحقّ جعلنا الله من أهل الحقّ.



شبهات الصوفية في الاستغاثة بغير الله

١- يحتج الصوفية لدعاء مشايخهم عند نزول الشدة والبلاء: أن مشايخهم بلغوا منزلا عاليا عند الله وقد صار الله سمعهم وبصرهم ويدهم كما في الحديث المشهور أن النبي-ﷺ- قال فيما يرويه عن ربه أن الله يقول:...وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمش بها..."[١]

هذا جزء من الحديث اعتمد عليه الصوفية وفهموا منه أن من أحبه الله ليس بينه وبين الله فرق، وهذا عقيدتهم المسمى بالحلول والاتحاد والفناء والمحو قلت: هذا سوء الفهم لمدلول الحديث ومعناه، لأنه لا يوجد أحد من السلف الصالح وعلماء السنة قديما وحديثا فهم ما فهمه الصوفية في هذا الحديث. أيها القارئ الكريم، هاك بيانا سديدا وشرحا صحيحا لهذا الحديث من الحافظ ابن الحجر العسقلاني (رحمه الله) صاحب فتح الباري "والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح وكليته مشغولة بي فلا يصغى بسمعه إلا إلى مايرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به"[٢].

---

[١]- أخرجه التخاري.

[٢]- فتح الباري جـ ١٨ صـ ٣٤٣ في باب التواضع

وقال الفاكهاني:"معناه يظهر لي أنه على حرف مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه، وحافظ بصره فلا يبصر إلا مايحل رؤيته، ولايمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك".[1]

قلت: ومما ينقد ويبطل فهم الفناء والمحو والحلول الذي يفهمه الصوفية في الحديث الجزء الأخير"...وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه"...نفهم أن الله سبحانه وتعالى يتولى إعطائه مقصده وسؤاله، ويحفظه ويرعاه عند ما طلب من الله الحفظ، ليس أن الولي يقوم باستجابة الدعاء والحفظ لنفسه فضلا عن غيره. قال تعالى: ﴿.... وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾[2] وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾[3]

واعلم أيها الصوفي "أن الاستعانة بالأموات والجن والملائكة والأشجار والأحجار من الشرك الأكبر، وهكذا الاستغاثة والاستعانة بمن يعتقد فيهم الولاية من الأموات فيما

---

[1]- المرجع السابق.

[2]- سورة فاطر، الآية: ١٣

[3]- سورة الحج، الآية:٧٣

لايقدر عليه إلا الله كشفاء المرض وهداية القلوب ودخول الجنة والنجاة من النار وطلب الرزق واشباه"شرك اكبر.[١] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[٢].

٢- يقول الصوفية أنهم ماعرفوا الله إلا بواسطة مشايخهم فيدعونهم عند نزول الشدائد فيقولون: "يا عبد القادر أغثني، يا أحمد التجاني أغثني، إذا كان المريد قادريا أو تيجانيا. قلت: إنه مما لا شك فيه أن أصحاب النبي-ﷺ- فهموا الدين الإسلامي بسبب دعوة النبي-ﷺ-وعلمهم النبي-ﷺ- حقوق الله تعالى بأن يعبدوه وحده، ومنعهم من الاستغاثة بغير الله، حتى حرم عليهم الاستغاثة والاستعانة به-ﷺ- عند الشدائد كما في حديث عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-:"أنه كان في زمن النبي -ﷺ-منافقا يؤذي المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال النبي-ﷺ- "إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله"[٣] وكما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ

---

[١]- **حراسة التوحيد.**

[٢]- **سورة الزمر، الآية: ٦٥**

[٣]- **أخرجه الطبراني منقول من كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد صـ١٧٣**

﴿يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾[1]

٣- حديث روي عن ابن مسعود-رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله أحبسوا علي يا عباد الله أحبسوا علي فإن لله في الأرض حاضر سيحبسه عليكم وفي مصنف أبي شيبة فليقل أغيثوني عباد الله فإنه سيعان.

قال الشيخ الألباني-رحمه الله-: والحديث رواه الطبراني وأبو يعلى في مسنده وعنه ابن السنى في عمل اليوم والليلة كلاهما من طريق معروف حسان السمرقندى عن سعيد بن أبي عروة عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مسعود. وهذا سند ضعيف وفيه علتان؛ الأولى:معروف هذا فإنه غير معروف. قال ابن أبى حاتم وهو مجهول. وأما ابن عدى وهو منكر الحديث. الثانية: الانقطاع وبه أعله الحافظ ابن الحجر فقال وفي السند انقطاع بين ابن بريدة وابن مسعود.[2]

قلت: فالحديث لا يصح الإحتجاج به لأنه ضعيف، والعمل به حرام لأنه يجيز الاستغاثة بالموتى عند الشدائد وهو شرك خالص.

❁❁❁

---

[1]- سورة آل عمران، الآية: ٧٩

[2]- سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج: ٢، ص: ١٥٩

التوسل في الدعاء عند الصوفية

لقد مال الصوفية عن التوسل المشروع الثابت في الإسلام[1] إلى التوسل البدعي وهو التوسل في الدعاء بجاه أشخاص من الأولياء والأنبياء والمرسلين والصالحين فتراهم يتوسلون بهم، أوبجاههم في أورادهم وقصائدهم، فقد ملئت كتب الصوفية بهذا التوسل البدعي، فأشير إلى بعضها وهي كما تلي:

بالهاشمي المصطفى التهامي ** وآلــه وصحبــه الـكـــرام
بالغوث والمحبوب عبد الله ** حبر الأنـام ذي الحيا والـجاه
أعني ابن عبس رفيع القـدر ** غوث اللهيـف ترجمان الـذكر

---

[1]- وهو التوسل بأسماء الله وصفاته ودليلة قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [سورة: الأعراف، الآية: ١٨٠]

وكذلك التوسل بالأعمال الصالحة قام بها صاحبها ودليله حديث النفر الثلاثة الذين انطبقت عليهم الغار بصخرة لا يستطيعون زحزحتها فتوسل كل منهم إلى الله بعمل صالح فعله، فأحدهم توسل إلى الله ببره بوالديه، والثاني بعفته التامة عن الزنا، والثالث بوفائه لأجيره فانفرجت الصخرة. انظر صحيح البخاره٢٢١ باب إذا شترى شيئا لغير بغير إذنه.

وكذلك يجوز التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح، ودليله: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي-ﷺ- في أمر عام كحديث الرجل الذي جاء إلى النبي وهو يخطب يوم الجمعة فقال ادع الله أن يغيثنا فدعا النبي-ﷺ- فترل المطر. انظر صحيح البخاري باب الاستسقاء في المسجد الجامع حديث الرقم (١٠١٣). وفي أمر خاص: كحديث الذي وصى النبي أصحابه من لقي أويس القرني فليأمره أن يستغفروا له، انظر صحيح مسلم باب من فضائل اويس القرني حديث الرقم ٢٥٤٢.

بالشيخ عبد القادر الجيلاني ** ومصطفى البكري ذي الأيقاني
وكل قطب من حماك داني ** وقد توسلنا بهم ياداني[1]

وعلى اعتقاد جواز التوسل بالشيوخ نظمت قصيدة عندما كنت في التصوف توسلت بها إلى الله بفضل وجاه عبد القادر الجيلاني بعنوان: "يا رب بالدرجات عبد القادر".

وهي عشرون بيتا منها ما يلي:

الحمد الله العظيم القادر ** إذ خص في الإسلام عبد القادر
شيخ الذي نال المحبة والعلى ** من ربه المنان عبد القادر
شيخ الشيوخ عالم متصوف ** قطب فريد الشيخ عبد القادر
يارب إني سائل متوسل ** بمحمد وبالشيخ عبد القادر
وارض عنا في حياتنا ومماتنا ** يارب بالدر درجات عبد القادر
وأنا سرومي عبد للفتاح ** متوسل بكرامه عبد القادر[2]

واستمع إلى الشيخ البرعي الصوفي السوداني يدعو مريده إلى التوسل بأحمد التيجاني الذي يسلك طريقه وهو يقول:

إن ضاق عيشك مرة بزمان ** فانزل بساحة العارف الرباني
وأسأل به مولى البرية نفحه ** ومراحما كالوابل الهطلان
فمحبه راق إلى درج العلى ** ويثاب بالتكريم والغفان
ما خاب من يرجو به المولى ولا ** من يحتمي بحماه في الأكوان [3]

---

[1] - إضاءة البلاد، صـ: ٢٤ – ٣٠

[2] - فواكه الصالحين القادرية. صـ: ٦-٧

[3] - التيجانية والمستقل، صـ: ٢٦٣

ومن ضمن التواسلات التي كنت أمارسها في الدعاء والأذكار قصيدة توسلت بها بالبسلسلة القادرية وهي كالأتي:

أجـــب دعائي يا مجيب لمن دعى ** بشيخنـا الجيلي عـبد القادر

بالشيـخ تاج العـارفين إمامـنا ** بسنبكي قطب من الأكـابـر

بشيـخنـا بى بكـرنا شبلي ** وبشيخنـا الجنيد ذي المفاخر

بكـرامـة معـروفنـا الـرخي ** بشيخنـا داود الطائي طاهـر

بفضل الشيخ حبيبنا العجـمي ** بحسننا البصري تقي شاهـر

بآخر الخلفاء راشديننا ** أعني علي ذا العلوم الباهـر

بزعيم كل الخلق إنس وجنهم ** محمد المختار طه مطاهـر [١]

وهذا قليل من الكثير من التواسلات التي تعوّد عليها الصوفية في الدعاء ولازموها كأن الرسول-ﷺ- هو الذي علمهم وهداهم إليها. وكانوا يتمكون شبهات لتجويز تلك التوسلات البدعية التي يدعون الله بها، أذكر منها والرد عليها في الموضوع التالى.

---

[١]- **فواكه الصالحين القادرية. ص: ١٤-١٥**

شبهات الصوفية في التوسل البدعي

١- يعتمد الصوفية على آية من الآيات القرآنية أساءوا فهمها في تجويزهم التوسل البدعي وهي قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣٥ ﴾[1] فيقولون إن الله أمرهم بابتغاء الوسيلة إليه فيختارون ما شاءوا، ومما لا يخفى أن الصوفية يفسرون القرآن كما يوافق أهواءهم بدون اعتماد على الكتب التفسيرية الصحيحة التي تفسر الآية بالحديث النبوي أو بأقوال السلف الصالح.

والرد على هذه الشبهة التي تمسك بها الصوفية الرجوع إلى تأويل وتفسير هذه الآية الواردة في الآثار الصحيحة من اعلام المفسرين كالقتادة والمجاهد "حدثنا بشر قال عن قتادة في قوله تعالى: "وابتغوا إليه الوسيلة أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه"[2]. فنفهم أن ما تشير إليه الآية إنما هو التقرب وابتغاء الوسيلة إلى الله بالأعمال الصالحة التي يرضى الله بها.

---

[1]- سورة المائدة، الآية: ٣٥

[2]- تفسير الطبري، جـ ١٠، صـ: ٢٩١ وتفسير روح المعاني، جـ ٤، صـ: ١٨٢ وتفسير ابن كثير، جـ: ٢، صـ: ٧٤

٢- "توسلوا بجاهي وإن جاهي عند الله عظيم" هذا القول من ضمن ما يعتمد عليه الصوفية ويستدلون به على أن النبي-ﷺ- أمرهم بالتوسل بجاهه.

والرد على هذه الشبهة هو أن العلماء المحدثين قديما وحديثا لم يجدوا لهذا الحديث أصلا من كتب الحديث كمابينه شيخنا ابن تيمية في كتابه القاعدة الجليلة أن الحديث موضوع، وكما بين شيخنا الألباني رحمه الله قائلا: "وممالا شك فيه أن جاهه-ﷺ- ومقامه عند الله عظيم فقد وصف الله تعالى موسى بقوله: "وكان عند الله وجيها" ومن المعلوم أن نبينا مُحَمَّد -ﷺ- أفضل من موسى فهو بلا شك أوجه منه عند ربه تعالى، ولكن هذا شئ آخر والتوسل بجاهه شئ آخر فلا يليق الخلط بينهما كما يفعل بعضهم، إذ إن التوسل بجاهه-ﷺ- يقصد به من يفعله أنه أرجى لقبول دعائه، وهذا أمر لا يمكن معرفته بعقل"[١]

قلت: لاينبغي لمسلم أن ينكر جاه النبي-ﷺ- لأنه أكرم الخلق على الله واعظمهم قدرا وأعلاهم منزلة،وهذا الشرف ثابت له عند ربه لكن لم يأمر المسلمين أن يتوسلوا في دعائهم إلى الله بجاهه، لأن الصوفية يخلطون الأمر فيقولون إن أهل

---

[١]- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، جـ ١ صـ: ٧٦-٧٧**

السنة ينكرون جاه النبي وينفون شرفه فمنعوا الناس أن يتوسلوا بجاه النبي-ﷺ-.

٣- "لما افترق آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق مُحَّد لما غفرت لي فقال الله يا آدم وكيف عرفت مُحَّد ولم أخلقه قال يارب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله، فعلمت أنك لم يضف إلى إسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه قد غفرت لك ولولا مُحَّد ما خلقتك".

هذا الحديث ركن هام يعتمد عليه الصوفية لتجويز التوسل بجاه النبي-ﷺ-، وقد بين العلماء المحدثين أن هذا الحديث ليس من أقوال النبي-ﷺ-بل هو حديث موضوع.[١]

ومما يظهر أن الحديث موضوع قول إن آدم خُلق لأجل مُحَّد وقد قال الله في القرآن إنه خلق الناس والجن لأجل العبادة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

---

[١]- قال الألباني في سلسة الأحاديث الضعيفة هذا الحديث موضوع أخرجه الحاكم في المستدرك جـ ٢، صـ ٦١٥، وعنه ابن عساكر جـ ٢، صـ ٣٣٣ وكذا البيهقي من دلائل النبوة جـ ٥، صـ من طريق ابي الحارث عبد الله بن مسلم الفهري ابن مسلمة، قال الإمام الذهبي عبد الرحمن بن مسلم الفهري لا أدري من هوبل هذا حديث الحديث موضوع، وفي ميزان الاعتدال قال: خبر باطل.

ثم بيّن القرآن بأن آدم تلقى كلمات من ربّه فغفر الله له قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] وصرح القرآن الكريم بتلك الكلمة وهي قوله تعالى﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]

٤- حديث أنس بن مالك-رضي الله عنه- أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون".[3]

قلت: هذا الحديث الصحيح يحتج به الصوفية على جواز التوسل بجاه النبي مستدلين على أن عمر بن الخطاب قال: "اللهم إنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا" ولا يبحثون في كيفية الاستسقاء بالنبي الذي أشار إليه عمر في الحديث، فإن هذا واضح أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستسقون بدعاء الرسول-صلى الله عليه وسلم- كما رواه أنس بن مالك-رضي الله عنه- أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله-صلى الله عليه وسلم- قام يخطب فاستقبل رسول الله قائما ثم قال

[1]- **سورة البقرة، الآية: ٣٧**

[2]- سورة الأعراف: الآية ٢٣

[3]- **أخرجه البخاري حديث الرقم ٣٧١٠ باب ذكر العباس بن عبد المطلب**

يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع رسول الله -ﷺ- يديه...[1]

وهـذه هي صـورة كيفية توسـل أصحـاب النبي -ﷺ- بـه للاستسقاء الذي أشار إليه عمر؛ إنما توسلهم المذكور هو الدعاء عند النبي وكذلك التوسل بالعباس كان بطلب دعائه رضي الله عنه كما هو واضح في أثر الزبير بن بكار أن العباس لما استسقى به عمر قال: "اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث.[2]

فبهذا وذاك يظهر بطلان الاستدلال بهذا الحديث على جواز التوسل بجاه النبي -ﷺ- ثم إن طلب الدعـاء من العباس الصادر من عمر رضي الله عنهما دليل على أن الصحابة لم يعرفوا التوسل بجاه النبي, ولو عرفه عمر لدعا الله به بدون الرجوع إلى العباس.

٥- عن عثمان بن حنيف -رضي الله عنه- أن رجلا ضرير البصر أتى النبي -ﷺ- فقال: ادع الله أن يعافيني قال: "إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال فادعه فال، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك

---

[1] - البخاري حديث الرقم ١٠١٣و١٠١٤و١٠١٥

[2] - فتح البارئ جـ ٣ صـ ٤٤٣ باب سوال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه في".[1]

قلت: هذا الحديث الصحيح من ضمن ما تمسك به الصوفية دليلا على جواز التوسل بجاه النبي-ﷺ- ولم يخف سوء الاستدلال بهذا الحديث لأن فيه ما يظهر أن الرجل الضرير أتى النبي-ﷺ- وطلب الدعاء منه، فمجرد إتيان الضرير إلى النبي-ﷺ- دليل ثابت واضح على أن التوسل بجاه النبي لم يعرفه أصحاب النبي-ﷺ- ولا سيما أن الدعاء مذكور في الحديث وهو "ادع الله أن يعافيني". فأما قول الضرير "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة. "يقصد به أنه توجه إلى الله بدعاء نبيه كما هو في ظاهر الحديث.

٦- عن أنس بن مالك أن النبي-ﷺ- قال: الله الذي يحي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين".[2]

---

[1]- / الجامع الصحيح سنن الترمذي حديث الرقم ٣٥٧٩ مشكلة المصابيح حديث الرقم ٢٤٩٥.

[2]- اخرجه الطبرائي في المعجم الكبير جـ ٢٤ صـ٣٥١، والمعجم الأوسط جــ ١ صـ ١٥٢، وحليه الأولياء جـ ٣ صــ ١٢١

وقد بين مخرج هذا الحديث الشيخ الطبراني أن الحديث ضعيف فلا يحتج به ومن يريد زيادة البيان حول ضعف هذا الحديث فليراجع سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ ناصر الدين الألباني.[1]

فنعلم بهذا أن جميع الأدلة التي يعتمد عليها الصوفية لتجويز التوسل بجاه النبي–ﷺ– شبهات واهية، فيلزم المسلم الرجوع إلى ما جاء به الرسول عند التوسل في الدعاء، إما التوسل بأسماء الله وصفاته أو بعمل صالح قام به المتوسل، أوبدعاء الرجل الصالح.

---

[1]- **سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١، صـ ١٠٠**

الذكر الجماعي عند الصوفية

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بذكره في كل وقت وحين، كما ورد ذلك في الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[4].

وكذلك هناك أحاديث واردة عن الرسول-ﷺ- ذكر فيها فضل ذكر الله تعالى وحث أمته على مداومته منها حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-أن النبي-ﷺ- قال لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله الله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس"[5] وما رواه مصعب بن سعد عن أبيه قال:كنا عند

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية: ٤١- ٤٢

[2]- سورة البقرة، الآية: ١٥٢

[3]- سورة النساء، الآية: ١٠٣

[4]- سورة آل عمران، الآية: ١٩١

[5]- صحيح مسلم حديث الرقم ٢٦٩٥

رسـول الله–ﷺ– فقال أيعجـز أحدكم أن يكسب كل يـوم ألـف حسنة،.فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ فال يسبح مائة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة.[1]

قد خصص النبي–ﷺ– بعض أذكار للصباح والمساء وبعد الصلوات المفروضة، وكذلك هناك الأذكار المختارة لدخول المسجد والخلاء والمنزل والخروج وغيرها.[2]

فملازمة ذكر الله تعالى مرغوب فيها بدون شك، ولكن الصوفية غلوا في أدائها ولم يكتفوا بما جاء به رسول الله–ﷺ– وعلم أصحابه إياه، بل لجئوا إلى البدع بتخصيص أوراد وأذكار للصباح والمساء غير التي ذكرها الرسول–ﷺ– كذكر بقول: "اللهم صحا صحا وحا بحا حم" "الله الله" مائة في كل الصباح والمساء عند القادريين، فليس هذا فحسب بل يفضلون الذكر الجماعي بصوت واحد حيث إنهم يقرءون تلك الأذكار المخترعة من تلقاء أنفسهم بصورة جماعية وبصوت واحد، وهذا ليس من هدي النبي–ﷺ–.

---

[1]- **صحيح مسلم حديث الرقم ٢٦٩٨. باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.**

[2]- **توجد هذه الأذكار في كتيب "وصحيح الأذكار، وأما الكتيب الذي سمي بالمأثورات التي جمعها حسن البنا ففيه أذكار لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند صحيح لقراءاتها بين أذكار الصباح والمساء بل ابتدعها من قبل نفسه. فيجب على المسلم أن يحذر من قراءتها.**

فهناك شبهات يتمسك بها الصوفية دليلا على سنية الذكر الجماعي أذكر بعضها واتبعه بالرد إن شاء الله تعالى وهي كما تلي:

الشبهة الأولى: عدم معرفة الفرق بين الاجتماع على الذكر والذكر الجماعي.

وقد التبس على الصوفية فهم معنى الاجتماع للذكر والذكر الجماعي فيحملون دليل الاجتماع للذكر على الذكر الجماعي، إذن يجب البيان وتوضيح الفرق بينهما.

فأما الاجتماع على الذكر سنة ثابتة عن رسول الله-ﷺ- وهو أن يجتمع الناس في مكان فيذكر الله كل واحد منهم بنفسه على حدته أو يذكر الله أحد منهم بتلاوة القرآن أو تفسيره أو بقراءة الأحاديث أو بتعليم أمور الدين فيستمع الباقون أو الجالسون إليه، تبدو حقيقة صورة الاجتماع للذكر في حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ- ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الملائكة وذكرهم الله فيما عنده.[1]

[1] - أخرجه المسلم حديث ٢٦٩٩ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن على الذكر.

وعن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- قال: "إن رسول الله خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للإسلام ومنّ به علينا قال ألله ما أجلسكم إلا ذاك؟، قالوا والله ما أجلسنا. إلا ذاك قال "أما أنا لم أستحلفكم تهمة لكم لكنه أتاني جبريل أن الله يباهي بكم الملائكة"[1].

قلت: يتضح أن الحديث الأول مطبق في الحديث الثاني، لأن أصحاب النبي عقدوا الجلسة فسألهم النبي-صلى الله عليه وسلم- سبب اجتماعهم واستحلفهم قائلا: "ما أجلسكم وقالوا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا، فقال الله ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك" نفهم بهذا الحديث أن أصحاب النبي الذين عقدوا الحلقة وجلسوا للذكر بدون رفع الصوت وليس بصوت واحد لهذا سألهم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عما يفعلون في اجتماعهم، ولو أنهم كانوا يرفعون أصواتهم لايحتاج النبي إلى أن يستفسر سبب جلوسهم وأجتماعهم.

فأما الذكر الجماعي فهو"أن يجتمع الناس فيقرءون الأذكار والقرآن بصيغة جماعية وبصوت واحد"[2] وهذا ممنوع

---

[1]- **مسلم حديث الرقم ٢٧٠١. باب فضل الا جتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.**

[2]- **انظر – الذكر الجماعي بين الاتباع والاتبداع.**

شرعا لأن النبي-ﷺ- لم يفعل هذا ولم يأمر به ولو أمر به لفعله أصحابه رضي الله عنهم، بل نهاهم عن رفع الصوت وذلك فيما رواه أبو موسى الأشعري قال: "كنا مع النبي-ﷺ- في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي-ﷺ-: يأيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم.[1]

قلت: من استطاع أن يفهم الفرق بين الاجتماع للذكر والذكر الجماعي يسهل لديه أن يعلم أن النبي-ﷺ- رغبنا في الاجتماع للذكر وحذرنا من الذكر الجماعي كما هو في ظاهر الأحاديث المذكورة سابقا.

الشبهة الثانية: اشتبه ورود صيغة الجمع في حديث في صحيح البخاري ومسلم على الصوفية فاستدلوا به على جواز الذكر الجماعي بصوت واحد، أنقل ذلك الحديث وأتبعه ببيان يرد تلك الشبهة: عن أبي هريرة-رضي الله عنه- عن النبي-ﷺ- إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم ما يقول عبادي، قال يقول يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك قال، فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون

---

[1]- **أخرجه مسلم ٢٧٠٤. باب استحباب خفض الصوت بالذكر.**

والله ما رأوك قال فيقول وكيف لو رأوني؟، قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا، وأكثروا لك تسبيحا...[1]

فوجه استدلال الصوفية على الذكر الجماعي في هذا الحديث قول "يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك" يقولون إن صيغة الجمع الواردة في التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد دلت على أن الناس يذكرون الله بصورة جماعية على صوت واحد.

والرد على هذه الشبهة:

أولاً: أن ورود صيغة الجمع لفعل معين لايشير إلى ان الفعل يكون بالصورة الجماعية لأنه يمكن أن يقوم كل واحد بفعله على حدته، وأمثلة هذا كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾[2] ندرك أن الله تعالى ذكر الذين يؤمنون بالغيب ومما رزقناهم ينفقون بصيغة الجمع ولا يعنى أنهم فعلوه على هيئة جماعية في حان واحد، إنما نفهم أن في هذه الآية أن المؤمنين يشتركون في الإيمان بالغيب وفي الانفاق مما رزقوا.

---

[1] - أخرجه مسلم حديث الرقم ٢٦٨٩ باب فضل مجالس الذكر.

[2] - سورة البقرة، الأية: ٣

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

وإن هذه الأية لا تشير إلى ذكر الله بصيغة جماعية كما يفهمها الصوفية لأن في الآية ما ينافي إمكانيتها لأنه لا يمكن ذكر الله على الجنوب يعني في حالة وضع الظهر على الأرض وإن أمكن ذكر الله قياما وقعود بالصورة الجماعية يصعب تطبيق "وعلى جنوبهم"بصفة جماعية. فبهذا نعلم أن الاستدلال بهذه الآية على الذكر الجماعي يخالف التطبيق.

ثانيًا: أن هذه الأفعال لم تأت على صيغة المشاركة: "يذاكرون أو يهالوون أو يسابحون..." ومما يذهب الريب ويوضح بدعية الذكر الجماعي قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[2] يظهر جليا في هذه الأية أن الله تعالى "استحب أن يكون الذكر منفردا وبالقول الخفي لاجهر وأن لا يكون نداء وجهرا بليغا"[3] كما يفعله الصوفية.

---

[1] - سورة آل عمران، الأية: ١٩١

[2] - سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥

[3] - انظر تفسير ابن كثير جـ ٢، صـ ٤١٧

وقد انكر أصحاب النبي-ﷺ- عندما رأو ما يشبه ظاهرة الذكر الجماعي وأثبتوا أنها بدعة ومن جملة منكري هذه البدعة عمر بن الخطاب الخليفة الثاني-رضي الله عنه- فيما روي ابن وضاح بسنده إلى ابي عثمان النهدي قال: "كتب عامل لعمر بن الخطاب-رضي الله عنه- إليه: أن ها هنا قوما يجتمعون، فيدعون للمسلمين ولأمير، فكتب إليه عمر: أقبل وأقبل بهم معك، فأقبل، فقال عمر للبواب: أعد سوطا، فلما دخلوا على عمر، أقبل على أميرهم ضربا بالسوط"[1]

وكذلك عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-حذر الذين حلقوا حلقة شبيهة بحلقة الصوفية للذكر الجماعي،وأثبت وصرح أنها بدعة وذلك فيما اخرجه الإمام الدارمي في حديث أبي موسى الأشعري أنه قال لعبد الله بن مسعود... "إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرا قال فما هو فقال إن عشت فستراه، قال رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصا فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول هللوا مائة فيهللون مائه ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة قال: فماذا قلت لهم، قال ما قلت شيئا إنتطار رأيك.. ومضينا معه حتى

---

[1]- **ما جاء في البدع لابن وضاح صـ (٥٤) منقول من الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع.**

أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم ابن مسعود فقال: ما ذا أراكم تصنعون قالوا يا أبا عبد الله حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح قال فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شئ ويحكم يا أمه مُحَّمَّد ما أسرع هلكتكم،! هولاء صحابة النبي متوفورن وثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده لعلكم على ملة هي أهدى من ملة مُحَّمَّد أو مفتتحوا باب ضلالة[1]. وفي رواية قال ابن مسعود لأصحاب الحلقة "والذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلما أو قد فضلتم أصحاب مُحَّمَّد علما.[2]

فنعلم بهذه الأدلة الواضحة أن الذكر الجماعي لم يأمر به النبي – ﷺ– ولم يدل عليه، ولم يحث أصحابه عليه، ولو كان مشروعا لسبق النبي وأصحابه إلى فعله، ولو فعلوه لنقل عنهم، ولا سيما أنهم أنكروا ظاهرته إنكارا شديدا عندما رأوها.

❁❁❁

[1]- **سنن الدارمي حديث الرقم(٢٠٤) باب في كراهية أخذ الرأي.**

[2]- **البدع لابن وضاح صـ ٨.**

الصلاة على النبي عند الصوفية

فالصلاة على النبي-ﷺ- واجبة على جميع المسلم، لأن الله تعالى أمر بها بقوله في القرآن: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1] وقد نصت السنة النبوية على ملازمة الصلاة على النبي-ﷺ- كما رواه أبو الدرداء قال: قال رسول الله-ﷺ- "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة وإن أحدا لن يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها... "،[2] وعن عبد بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله -ﷺ- "من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشر".[3] هذه الأحاديث من أقوال النبي-ﷺ- تدعو المسلمين إلى اكتساب الأجر عند الله سبحانه وتعالى بالصلاة عليه ويرغب في إكثارها.

فلما نزلت الآية المذكورة سابقا﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ طلب أصحاب النبي أن يعلمهم كيفية الصلاة عليه-ﷺ-

---

[1] - سورة: الأحزاب – الأية: ٥٦

[2] - ابن ماجه١٠٨٠

[3] - أخرجه مسلم حديث الرقم ٣٨٤ باب استحباب القول المؤذن لمن سمعه ثم يصلى على النبي.

كما رواه بن عجرة قال: قيل يا رسول الله أما السلام فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال" "قولوا اللهم صل على مُحَّمد وعلى آل مُحَّمد كما صليت على إبراهيم وعلى آله إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على مُحَّمد وعلى آل مُحَّمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[١]

كما اشتهر الصوفية بمجاوزة الحد والغلو في الدين وعدم مبالات في مشاققة أمر الرسول-ﷺ- وضعوا صلوات متنوعة من عند أنفسهم كصلاة الفاتح وجوهرة الكمال وصلاة السابق، وصلاة الكاملة وغيرها فجعلوها وظيفة وأورادا ألزموا أتباعهم ومريديهم بقراءتها، وأكرموها وفضّلوها على الصلاة الواردة عن رسول الله-ﷺ-. فأنقل إلى القارئ الكريم بعض اعتقاد التيجانيين في صلاة الفاتح من كتاب البيان والتبيان ألفهُ إبراهيم عبد الله الكولخي النياس قال: "الحمد لله هذه طريقة شيخنا أبي العباس التيجاني يقول بعد الاستعاذة والبسملة أستغفر الله مائة ثم الصلاة على النبي-ﷺ-بأي صيغة لكن بصيغة صلاة الفاتح لما أغلق أعظم لما فيه من الثواب العظيم"[٢]

---

[١]- أخرجه البخاري حديث الرقم ٣٣٧٠

[٢]- البيان والتبيان في التيجانية والتجانيين صـ ٣

وأضاف قائلا عند ما يصف مكانة صلاة جوهرة الكمال: "والأصل فيه ما قاله سيدنا أعطاني رسول لله صلاة تسمى بجوهرة الكمال من ذكرها اثني عشرة مرة فقال: هذه هدية مني إليك يارسول الله فكأنما زاره في روضته الشريفة، وكأنما زار أولياء الله تعالى والصالحين من أولياء الله تعالى والصالحين من أول الوجود إلى وقته، ومنها أن من لازمها في يوم الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات، ومنها أن من لازمها في يوم أربع مرات يحبه النبي محبة خاصة، ولا يموت حتى يكون وليا، ومنها أن قراءتها سبعا فأكثر يحضره النبي والخلفاء الراشدون ما دام يذكرها".[1]

وكذلك فضّل أحمد التيجاني قراءة صلاة الفاتح المبتدعة على قراءة القرآن وها هو يقول: "إن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل تلاوة القرآن ستة آلاف مرة".[2]

فإن هذه الأقوال البشعة نبذة يسيرة جدا من عقائد الصوفية الباطلة في صلواتهم المخترعة من تلقاء أنفسهم ليصدوا بها الناس عن الصلاة الإبراهمية التي شرعها رسول الله–ﷺ– لأمته، ألاترى أيها القارئ العزيز كيف يفضلون صلاة الفاتح وجوهوة الكمال المبتدعتين من مصطفى البكري

---

[1]- **المرجع السابق، صـ: ٥١**

[2]- **جواهر المعاني، صـ: ٥٧**

وأحمد التيجاني على الصلاة الإبراهيمية. ومما يؤسف المسلم الفاهم دينه أن الذين اخترعا هاتين الصلاتين ساعدهما الشيطان لنشرهما، وصرف وجوه كثير من المسلمين إليهما وحفظوهما حتى جهلوا الصلاة الإبراهيمية وحتى لم يعرفوا أنها هي المشروعة عند التشهد في الصلاة !!! إنا لله وإنا إليه راجعون.



شبهات الصوفية في اختراع الصلاة على النبي

هناك شبهات يعتمد عليها الصوفية فى اختراع الصلاة على النبي-ﷺ- بالصيغة غير الواردة وهي كما تلي:

١- ادعاء محبة الرسول: يدعي الصوفية أن مشايخهم الذين اخترعوا الصلوات ما دفعهم شئ إلى هذا الشأن إلا محبة الرسول-ﷺ-، فيزعمون أن النبي-ﷺ- أعطاهم أو ألهمهم إياها يقظة أو مناما لشدة محبتهم له.

والرد على هذا القول: إن الحب الحقيقي لفي اتباع أوامر المحبوب وإحياء تراثه القولي والفعلي وعدم مخالفة تعاليمه، وكل من يحب النبي-ﷺ- يفضل التمسك بما جاء به ولا يميل إلى تغييره وتبديله، وقد بلغ أصحاب النبي رضوان الله عليهم المرتبة العالية في محبته-ﷺ- فزاد اتباعهم لرسول الله واشتد حرصهم لإحياء سنته و التمسك بهديه-ﷺ-، لأجل هذه ذهبوا إلى النبي-ﷺ- أن يعلمهم الصلاة عند نزول الأية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ فعلمهم إياها كما سبق ذكرها، فنعلم أن إدعاء الصوفية لمحبة الرسول زعم تكذبه تصرفاتهم وأحوالهم تجاه إحياءهم البدعة في الدين الإسلامي وإماتتهم سنة النبي-ﷺ-.

٢- أن الرسول-ﷺ- لم يمنع اختراع الصيغ الأخرى إنما علم أصحابه الصلاة الإبراهيمية ولم يقل-ﷺ- لا تصلوا علي بغير الصلاة الإبراهمية.

والرد على هذه الشبهة كالاتى: إن مما يجب على المسلم في أمر الدين أن يقف عند الحد الشرعى وهو ما جاء به النبي-ﷺ- وأن لا يجاوز ما جاء به رسول الله ولا يزيد عليه لأن الزيادة إحداث في الدين وهو ممنوع كما في حديث عائشة رضى الله عنها قالت: "قال رسول الله-ﷺ- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "فلا شك أن الصلوات غير الإبراهيمية ليس عليها أمر النبي بقراءتها، إنما ورد عنه-ﷺ- الصلاة الإبراهيمية إذن فلا داعي إلى أن نقول هل ورد من الرسول نص بمنع غيرها من الصلوات. وهناك سؤال أوجّهه إلى من يعتقد جواز اختراع الصلوات بسبب عدم ورود المنع عن الرسول-ﷺ-: هل يجوز تغيير صيغ الأذان فيقال: "الله أعلى الله أعلى، أعلم أن لا معبود إلا الله" بدلا "الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله"؟ متعللا أن النبي لم يمنع صيغة أخرى غير الواردة عنه في الأذان بنص منه-ﷺ- وهذا ما يسمى بالسنة التركية. ونأخذ مثلا صلاة العيد، صلى الرسول -ﷺ- هذه الصلاة بغير أذان ولا إقامة، ولو قام أحد اليوم

وأذن لها أو أقام لها فقال ليس هناك نص منع به الرسول- ﷺ- عن الأذان والإقامة فيها، فنقول له ما دام أن الرسول- ﷺ -لم يأذن ولم يقم عند أدائها، فلن نأذن نحن أيضا.

وأنا متيقن أنه لايوجد من العلماء قديما وحديثا من يوافق تغيير صيغة الأذان الواردة متعمدا مع أن الرسول علم أصحابه إياها وأقرهم عليها. فإذا كان هذا الكلام صحيحا، وكيف يكون إختراع الصلاة غير الواردة عن النبي- كالصلاة الفاتح وجوهرة الكمال وغيرهما- جائزا؟، ولا سيما أنه-ﷺ- علم أصحابه الصيغة المحبوبة إليه.

فيجب أن نعلم أن تغيير شئ من الصيغ الواردة في جميع أمور الدين ممنوع، لما رواه براء عن عازب أن النبي-ﷺ- قال له: إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجئت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت قال فإن مت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول قال البراء فقلت أستذكرهن فقلت وبرسولك الذي أرسلت، قال -ﷺ- لا، وبنبيك الذي أرسلت.[1]

---

[1]- سنن أبي داود حديث الرقم (٥٠٤٦)

فوجه الشاهد في هذا الحديث "قلت أستذكرهن فقلت وبرسولك الذي أرسلت قال-ﷺ- لا وبنبيك الذي أرسلت".

نرى أن براء بن عازب أراد أن يغير كلمة "النبي" إلى "الرسول" فقال له النبي لا، بمعنى لا تغير شيئا من صيغة الدعاء التي علمتك إياها، مع أن البراء يرى أن إطلاق الرسول أفضل وأكرم من النبي لأن الرسول أخص من النبي.

فبهذا الدليل أقول بالصراحة أنه لا ينبغي تغيير أو تبديل صيغة الصلاة الواردة عن الرسول-ﷺ- وغيرها مما ورد من الأذكار عن النبي، إنما تغييرها بدعة في الدين.

٣- اعتماد على حديث غير صحيح نسبه سلامة الكندي إلى عليّ-رضي الله عنه- أنه كان يعلم الناس هذا الدعاء: اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات وحيار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ورافة تحننك وفضائل آلائك على مُحَمَّد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق".

قلت إن علماء الحديث تكلموا في إسناد هذا الحديث وقال الحافظ أبو الحجاج المزني: سلامة الكندي ليس بمعروف ولم يدرك عليا.[١] فيبدو أنه لم يرو عنه، فلا يجوز الاستدلال بمثل هدا الحديث.

---

[١]- **تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٣، صـ٨٠٠**

فهذه هي أهم الشبهات يعتمد عليها الصوفية لتجويز اختراعهم الصلوات على النبي بغير الصيغة الواردة، يدرك القارئ الكريم أن الشبهات المثيرة حولها كلها ضعيفة لا حجة فيها، إذن فهذه الصلوات المبتدعة يجب على المسلم أن يحذر ويحذر الناس من قراءتها ويكتفي بقراءة الصلاة الواردة عن النبي ألا وهي الصلاة الإبراهيمية،"اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم".

هل هناك صوفي معتدل؟

إن مما اغترّ به العوام واعتمد عليه الصوفية قول: إن التصوف صح أصله وحسن مغرسه وصفا منبعه، وكان أساسه مبنيا على كتاب الله والسنة النبوية، إلا الذين جاءوا بعد الأوائل من الصوفية هم الذين كدروا صفاء مائه بما ابتدعوا فيه من البدع المتنوعة، فتراهم يثنون على الأوائل من الصوفية ثناء فائقا بأن تصوفهم تصوف سني خالي من شوائب الشرك والبدع والغلو في الدين فيطلقون عليهم بأنهم صوفيون معتدلون. فكثيرا ما يعتمد الصوفية على كلام ابن تيمية في ثنائه على الأوائل من الصوفية كإبراهيم بن أدهم،وأبي يزيد البسطامي،والجنيد والسري السقطي وعبد القادر الجيلاني.

وكذلك كنت أزعم أن متأخري الصوفية هم الذين أحدثوا المخالفات في الإسلام عقيدة وعبادة وسلوكا، ولكن بعد ما دققت البحث أدركت أن هؤلاء الصوفية المتأخرين اتبعوا ما وجدوا عليه المتقدمين واقتفوا آثار الأوئل في كل المخالفات الدينية الموجودة في التصوف، فأيقنت أنه لا يوجد صوفي معتدل، لأن الانحراف عن الإسلام أصل عبادة التصوف عقيدة وعبادة وسلوكا.

أيها القارئ الكريم لا تستغرب كثيرا لنفي الاعتدال عن الصوفية،سيبدو لك عن قريب ما بدى لي فتقتنع كما اقتنعت، فتعال معي لتنظر إلى بعض أقوال الذين يزعم الناس

إعتدالهم من الصوفية، أمثال الذين قدم ذكرهم، أذكر في مقدمتهم.

١- إبراهيم بن أدهم: "وهو أحد مشاهر العباد وأكابر الزهاد كانت له همة عالية في ذلك".[١] ومن مخالفته العقدية التي كانت من أصول عقيدة الصوفية أنه كان يستهرئ بنعيم الجنة في دعائه وهو يقول: "اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة".[٢]

قلت: وهذا القول يوافق قول صوفي أخر: أبو الحسن بن الموفق المتوفى ٢٦٥ أنه قال: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفا من نارك فعذبي بها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حبا مني لجنتك وشوقا إليها فاحرمنيها".[٣]

ظهر من هذا القول أن إبراهيم بن أدهم يستخف ويستهزئ بالجنة ويرغب عن دخولها، وهذا يخالف قول الله تعالى وشأن نبيه-ﷺ-، ولا أدري ماذا يريد ويرغب فيه فى الأخرة! قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾.[٤]

---

[١]- البداية والنهاية جـ١٠ ص: ١٤٤

[٢]- جمهرة الأولياء لأبي الفيض المتوفى جـ ٢- صـ١٣٠

[٣]- طبقات الأولياء لابن الملقن صـ ٣٤٢

[٤]- سورة الكهف، الآية: ١٠٧-١٠٨

قلت:ومن الذى يرضى بالثناء والتعديل من تفوه بمثل هذه الأقوال التى تهدم أصول عقيدة المسلم؟، وذلك الإيمان بأن الجنة حق.

وكذلك كان النبي-ﷺ- يرغب فى الجنة ويتعوذ من النار حتى فى جميع الصلوات المفروضة وذلك فى التشهد، كما رواه معاذ بن جبل-رضي الله عنه- أنه سأل الرسول: ماذا تقول فى الصلاة قال أتشهد ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار.[١]

وقال إبراهيم بن أدهم أيضا لشخص "أتريد أن تكون وليا من أولياء الله؟ فقال: نعم، فقال له: لا ترغب فى شئ من الدنيا والأخرة".[٢]

قلت: يبدو فى هذا الكلام مخالفة دين الله وطبيعة الحياة الإنسانية ولأنه لا يمكن ألا يرغب الإنسان فى شىء من الدنيا والأخرة والله أمر المسلم بطلب حقه فى الدنيا قال تعالى: ﴿ ...وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ... ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى

---

[١]- سنن ابن ماجه حديث الرقم ٣٨٤٧

[٢]- نفحات الإنس للجامي صـ ٦

[٣]- سورة القصص، الآية: ٧٧

ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[1]

ومن ضمن تصرفات إبراهيم بن أدهم البدعية طلبه لولاية الله باختيار الفقر والمذلة وهذا قوله: "لا تصلح لأحد أن تعدّ من الصالحين ما لم تغلق على نفسك أبواب العز والغنى وتفتح الذل والفقر".

قلت: إن الإسلام لم يدع إلى اختيار الفقر وانتشاره بين المسلمين إنما يدعو إلى قمعه وتقليله لأجل هذا أوجب الله إخراج الزكاة للأغنياء، حتى كان النبي-ﷺ- يأمر أمته أن يتعوذوا من الفقر والذل كما قال أبو هريرة أن النبي-ﷺ- كان يقول: "تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة وأن تظلم أو تُظلَم".[2]

وكيف يرغب المسلم فيما استعاذ منه النبي-ﷺ-؟، وقد بين النبي الوسائل التي يسلكها المسلم لتقرب إلى الله عز وجل، قال أبو هريرة أن النبي-ﷺ- قال إن الله قال: "من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما

---

[1]- سورة البقرة، الآية: ٢٠١-٢٠٢

[2]- سنن ابن ماجه ٣٨٤٢

افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..[1]

وأين ابن أدهم من هدي النبي-ﷺ- فى التقرب إلى الله تعالى؟ حتى اختار الفقر والمذلة لتقرب إلى الله ولعل الذي حمله على هذا اقناعه بالجهل وفراره عن مجلس الحديث والعلم كما فى قول ابن أبي الدنيا" حدثنا أبو الربيع عن إدريس قال جلس إبراهيم بن أدهم إلى بعض العلماء فجعلوا يتذاكرون الحديث وإبراهيم ساكت فلم ينطق بحرف حتى قام من ذلك المجلس، فعاتبه بعض أصحابه من ذلك فقال: إني لأخشى مضرة ذللك المجلس في قلبي إلى اليوم".[2]

٢- أبو يزيد البسطامي: اسمه طيفور بن عيسى بن علي أحد أئمة ومشايخ الصوفية وكان جده مجوسيا فأسلم وتوفي سنه أحدي وستين ومائتين.[3] وله قول جميل مشهور:"لو نظرتم إلى رجل أعطي الكرامات حتى يرتقى في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ أداء الشريعة"[4]

---

[1]- أخرجه البخاري.

[2]- البداية والنهاية جـ ١٠ صـ ١٤٦

[3]- البداية والنهاية، جـ ١١ صـ: ٤١

[4]- الرسالة القشيرية، جـ ١ صـ: ١٠٣

ألاترى أيها القارئ الكريم أن هذا القول موافق لكتاب الله وسنة النبي-ﷺ-. ولكن عند أبي يزيد أقوال أخرى تهدم وتنقد الأول وتخالف الدين الإسلامي، ومن ضمنها قوله في وصف وصوله إلى المعرفة في التصوف فقال بعبارته التي نقلها أبو عبد الرحمن السلمي بإسناده إلى أبي يزيد أنه سئل:بأي شئ وجدت هذه المعرفة، فقال: ببطن جائع وبدن عار". وأضاف يقول أيضا "دعوت نفسي إلى طاعة الله فلم تجبني فمنعتها عن الماء سنة".[١]

قلت لا شك أن هذا القول بعيد عن ما جاء به الأنبياء ورسل الله ولاسيما نبينا مُحَّد-ﷺ- لأن ماصدر عن أبي يزيد لم يرد من الكتاب والسنة،ولم ينل أصحاب النبي-رضوان الله عليهم- الولاية عن طريق جوع البطن وعري الأبدان، إنما نالوا القربة إلى الله والولاية بواسطة اتباع أوامر الله والتقيد بالسنة النبوية. ولأبي يزيد البسطامي أقوال كثيرة مستغربة دعا بها إلى الحلول ووحدة الوجود منها قوله وقال أيضا:"ما أعظم شأني".[٢] وقال فيما نقله روزبهان بقلي شيرازي عن أبي موسى أنه قال: "سمع أبو يزيد مؤذنا يقول الله أكبر فقال: وأنا أكبر من الله."[٣]

---

[١]- جامع كرامات الأولياء للنبهاني، جـ ٢ صـ: ١١٥

[٢]- سر الأسرار فيما يحتاج إلى الأبرار صـ ٨٢

[٣]- شرح شطحيات للروزبهان منقول من دراسات فى التصوف صـ ١١٣

ومن مخالفته للشريعة أنه كان يعيد صلاة العشاء مرارا وتكرارا كما حكاه العطار عن أبي يزيد البسطامي أنه كان يصلى أربع ركعات للعشاء وكان إذا فرغ قال: إن هذه الصلاة غير مقبولة عند الله، وكان إذا فرغ قال: إن هذه الصلاة غير مقبولة عند الله، وكان يعيدها ثم إذا فرغ يعيدها، وهكذا يفعل حتى ينقض الليل كله.[١]

ولا شك في أن كل ما صدر من أبي يزيد البسطامي من الأقوال والأفعال المخالفة لهدي الإسلام هو ما بني عليه التصوف كعقيدة وحدة الوجود حيث أقرها أبو يزيد أن الله فى جبته,والاستخفاف والاستهزاء بالجنة ونعيمها،وتمسكه بالبدعة فى العبادة باعتماده على ما املأت عليه نفسه دون اتباع النبي-ﷺ-.

٣- الجنيد: وهو من الطبقات الثانية إسمه الجنيد بن مُحَمَّد أبو القاسم الخزاز، أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق تفقه على أبي ثور وصحب السري السقطي والحارث والحاسبي وتوفي سنة سبع وتسعين ومائتين.[٢]

وكان مما يقول ويكرر أن التصوف نشأ على اتباع كتاب الله وسنة رسوله-ﷺ- ولكن بعض أحواله وتصرفاته خالف

---

[١]- **تذكرة الأولياء لفريدج الدين عطار صـ ٩٤**

[٢]- **طبقات الصوفية، جـ ١ صـ: ١٢٩**

هدي النبي-ﷺ-. وأذكر بعض مخالفاته المذكورة في الرسالة القشيرية أنه يعني الجنيد "كان يدخل كل يوم حانوته ويستل الستر ويصلى أربعمائة ركعة ثم يعود"[1].

ألا ترى أيها القارئ أن هذا تطرف وغلو في دين الله ومخالفة هدي النبي، لأن النبي-ﷺ- كان لا يزيد على إحدى عشرة ركعة في نوافله الليلية وذلك ما روته أمنا عائشة رضي الله عنها، وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أخبر أنه سأل عائشة رضي الله عنها كيف كان صلاة رسول الله-ﷺ- في رمضان فقالت: ما كان رسول الله-ﷺ- يزيد في رمضان ولا في غيره على أحدى عشرة ركعة يصلى أربع فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربع فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا"[2]. فهذا هدي النبي في صلاته الليلية فأين الجنيد منه؟ولماذا لم يتخذ النبي أسوة في عبادته؟ وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[3].

ومن نزغات الصوفية التي غلبت على الجنيد أنه كان ينفر الناس عن طلب العلم الشرعي وعن العلماء ويرغبهم في البعد

---

[1]- الرسالة القشيرية ج١، ص: ١٩

[2]- صحيح البخاري حديث الرقم: ١١٤٧

[3]- سورة الأحزاب، الآية: ٢١

عن العلم الديني وها هو يقول: "المريد الصادق غني عن علم العلماء، وإذا أراد الله بالمريد خير أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء"[1] وليس أن الجنيد يبعد وينفر المريد عن العلم الشرعي فحسب بل يمنعهم عن الكسب والتزويج وهذا ما أثبته الشعراني في طبقاته وهو يقول "وكان الجنيد يقول: أحب للصوفي أن لايقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه، وأحب للمريد المبتدئ أن لا يشغل قلبه بهذا الثلاث وإلا تغير حاله: التكسب، وطلب الحديث، والتزوج"[2].

قلت: لا شك ولا أدنى الريب في أن هذه الأقوال تخالف ما جاء به الإسلام لأن الإسلام يدعو إلى التكسب فقد شارك النبي- ﷺ- وأصحابه في الكسب فأكلوا من عمل يدهم وعن المقدام- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ- "ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده[3].

---

[1]- الطبقات الشعراني جـ ١ صـ ٨٤

[2]- الطبقات الشعراني جـ ١، صـ ٨٨

[3]- صحيح البخاري حديث الرقم ٢٠٧٢

وكذلك ترك الزواج الذي يدعو إليه الجنيد ليس في الإسلام في شئ لما رواه أنس عن النبي -ﷺ- قال"... النكاح سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني".[١]

وأما تنفيره المريد عن طلب الحديث إنما هو لمعرفته أن فهم الدين بالحديث يهتك أستار الجهل في دين الله ويبعد صاحبه عن البدعة التي وضع عليها التصوف، ويثقف المسلم في فهم دينه عقيدة وعبادة وفقا لما جاء به النبي -ﷺ- ويرفض الخرافات الصوفية وغيرها.

ومن أقبح أحوال الجنيد قوله بالحلول ووحدة الوجود حيث يرى أن الله هو لباسه وهذا قوله "ليس في جبتي سوى الله"[٢] فهذا القول وأمثاله الصادرة من الجنيد سيد من سادات طوائف الصوفية هي التي دفعت الصوفية المتأخرين أمثال الحلاج وابن العربي وغيرهما إلى عقيدة وحدة الوجود والحلول حتى رأوا أن الكلب والخنزير إله أو إلهان.

وإن قيل بأن هذه الجعجعات الصادرة من هؤلاء علماء الصوفية المذكورة شطحات الصوفية أو المحو أو السكر، قلت لا تعتبر هذه الشطحات في الإسلام لأنها عين الشرك مع الله سبحانه، ولماذا كانت هذه الشطحات من خصائص

---

[١]- صحيح ملسم حديث الرقم١٤٠١ باب استحباب النكاح.

[٢]- سر الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار.ص ٨٢

الصوفية ولم يوجد مثلها عند صحابة-رضوان الله عليهم- عمدا ولاخطأ؟، ولم يرع عالم من علماء أهل السنة قديما وحديثا حول حمى الشطحات حتى يرتع فيها بل كانوا يتقيدون في جميع أحوالهم بكتاب الله وسنة نبيه. ولو صدر مثل هذه الشطحات من مسلم خطأ أو نسيانا كقول الرجل الذى وجد ضالته: "الله أنا ربك وأنت عبدى"،[١] يجب عليه أن يتوب إلى الله، وإنه يكفر إذا اعتقد هذا القول كما يعتقده الصوفية الأوائل والأواخر نسأل الله السلامة والعافية.

٤- الشيخ عبد القادر الجيلاني:ولد في عام ٤٨٢هـ/١٠٨٧م في جيل كوكوك في العراق أيام الدولة العباسية كان شيخا ورعا تقيا عالما كثير العبادات،درس في المذهب الحنفي في أول أمره ثم انسحب عنه إلى المذهب الحنبلي، وتوفي ببغداد سنة٥٦١هـ، الموافق ١١٦٦م[٢] .

---

[١]- عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذها بخطامها ثم قال: أللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح.

[٢]- انظر تارنخ الإسلام في غرب افريقيا. ص ٥٦ وآثار العلم والفلسفة والتصوف في مسيرة الدعوة الإسلامية ص: ٦٥

وكان هذا الشيخ مما يشار إليه بالبنان أنه صوفي معتدل سني بيدا أني عندما شرعت في البحث أدركت مخالفات شديدة صدرت من هذا الشيخ، فأذكرت أن العدالة لن تتماشى مع دين التصوف، فتعال معي أيها القارئ لترى ما قال شيخنا ربيع المدخلي حفظه الله في شأن الشيخ عبد القادر الجيلاني: "ليت الشيخ عتد القادر حذر من الدخول في ظلمات التصوف من يقرأ في كتابه الغنيـة يندهش من حاله فهو في باب الأسماء والصفات وفي القدر مع أهل السنة والجماعة وإذا دخل في ظلمات التصوف وجده رجلا آخر".[1]

قلت: إن ما أثبته الشيخ المدخلي في حال الشيخ عبد القادر لحق واضح كل الوضوح في كتابه المذكور (الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل)، وكتابه (سر الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار)، ولكي يكون القارئ على بينة من أمره أعرض نبذة يسيرة من نزعات الصوفية الغالبة على هذا الشيخ فمال إلي ما يخالف هدي النبي–ﷺ– منها ما يلي:

تقسيم العبادات المفروضة إلى عبادة الشريعة وعبادة الطريقة، يعنى أن الشيخ عبد القادر يرى أن هناك صلاة الشريعة وصلاة الطريقة،ووضع لكل منهما تعريفا خاصا. وهذا قوله: "فأما صلاة الشريعة وهي القيام والقراءة والركوع

---

[1] - **كشف زيف التصوف وبيان حقيقته وحال حملته صـ ٥٣**

والسجود والقعود والصوت والألفاظ.." وأما صلاة الطريقة فهي صلاة القلب مؤبدا فقد علمت بهذه الآية "والصلاة الوسطى" هي صلاة القلب[1] وكذلك أقر أن هناك زكاة الشريعة وزكاة الطريقة وهذا نص قوله "فأما زكاة الشريعة أن يعطي من كسب الدنيا إلى مصرفة مؤقتة معينة في كل سنة من نصاب معين، وأما زكاة الطريقة فهي أن يعطي من كسب الأخروية إلى فقراء الدين والمساكين الأخروية".[2] وهو أيضا يثبت صوم الطريقة بما نصه" فأما صوم الشريعة أن يمسك عن المأكولات والمشروبات وعن الوقاع في النهار. وأما صوم الطريقة أن يمسك جميع أعضائه عن المحرمات والمناهي والذمائم مثل العجب وغيره ظاهرا وباطنا وليلا ونهارا فإذا فعل شيئا من هذه الافعال التي ذكرناها بطل صوم الطريقة".[3] وصرح الجيلاني تقسيم الحج إلى حج الشريعة وحج الطريقة وهو يقول: "فحج الشريعة أن يحج بيت الله تعالى بشرائطه وأركانه حتى يحصل ثواب الحج.. وأما بيان حج

---

[1]- سر الأسرار فيما يحتاج إليه الإبرار، صـ: ٥٦

[2]- سر الأسرار، صـ: ٦٠

[3]- المرجع نفسه، صـ: ٦٢

الطريقة فزاده وراحلته والميل إلى صاحب التلقين وأخذه منه ثم ملازمته الذكر باللسان".[1]

قلت سبحان الله! من أين جاءت هذه التقسيمات الدينية إلى عبادة الشرعية وعبادة الطريقة لعبد القادر الجيلاني؟ التي لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله-ﷺ-، ولا في أثر أصحاب النبي والتابعين وتابعي التابعين إنما هي من نزغات التصوف، وهي التخيلات والتوهمات يعتمد عليها الصوفية فتراهم لا يصلون الصلوات الخمس ولا يصومون رمضان ولايزكون ولا يهتمون بأداء الحج الذي جاء به رسول الله-ﷺ-لأنهم يعتبرونها عبادات الشريعة، فيتمسكون بما ذكره عبد القادر الجيلاني من صلاة الطريقة وصوم الطريقة وز كاة الطريقة وحج الطريقة،إنا لله وإنا إليه راجعون! أليس هذا هدم لدين الإسلام وإحياء دين آخر باسم الإسلام؟، أليس هذا إنكار غير مباشر لنبوة نبينا مُحَّد-ﷺ-؟.

لمثل هذا يذوب القلب من كمدإن كان في القلب إسلام وإيمان**

ومن ضمن الانحرافات التي صدرت من كلام عبد القادر الجيلاني وصفه للصوفي بصفات غريبة وهو يقول: "...فصار صافيا فسمى صوفيا فحمل فصار محملة القدرة كرة المشيئة مربي القدس منبع العلوم والحكم، بيت الأمن والفوز، كهف

---

[1]- **المرجع يفسه صـــ ٦٤**

الأولياء والأبدال وموئلهم". وهو أيضا يصف المريد الصوفي بصفات لا يطيقها إنسان يقول: ثم يجاهد نفسه وهواه بأمر الله حتى يفارق أخراه وما أعد عز وجل لأوليائه فيها من جنة لرغبته في مولاه....ويفعل فعل العالم بما كان وما هو آت والخبير بالسرائر والخفيات وما تتحرك به الجوارح وما تضمره القلوب والنيات".[1]

وقد كتب شيخنا المدخلي ردا مفحما لهذه التوهمات الصادره من عبد القادر الجيلاني في صفات الصوفي والمريد وهذا نصه "أين لعبد القادر من أن الصوفي مربي القدس منبع العلوم والحكم بيت الأمن والفوز، كهف الأولياء والأبدال وموئلهم ومرجعهم، هل قال رسول الله هذا في نفسه أو عن أحد من أصحابه مثل هذا؟ أما قال الله لرسوله: ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾؟[سورة الجن:٢١] وهل يجوز الزهد في الأخرة، وهل زهد الأنبياء والصحابة والصديقون فيها...؟ ومن أين لعبد القادر قول اطلاع الصوفية على ما أضمرت قلوب العباد وما انطوت عليه النيات وجعلهم جواسيس القلوب والأمناء على السرائر إلى هذه الدعاوى الباطلة، فعلم الغيب وبما في قلوب العباد وسرائرهم وخفياتهم أمر مختص بالله لا يشركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل والله يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

[1] - الغنية لطلب الحق عز وجل صـ ١٦٠

﴿وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ **[سورة النمل، الآية: ٦٥]**. فإذا كان هذا أثر التصوف في الشيخ عبد القادر المنتمي إلى مذهب الإمام أحمد إمام السنة فكيف بحال غيره"[١].

قلت: هذه أخبار أعلام الصوفية المعتدلين–كما يزعمون– وصور يسيرة من الأنحرافات والزلات الموجودة فى كتبهم وفى كتب مريديهم إنما هي أمارات صادقة على أن مخالفة القرآن وسنة الرسول–ﷺ–وسبيل السلف الصالح هي اللبنة الأولى التي وضع عليها بناء التصوف، فنعلم أن العدالة الموافقة للسنة التي جاء بها النبي–ﷺ–وفهما سلفنا الصالح لن توجد فى التصوف.

وقد يقول قائل: "إن الشيخ ابن تيمية –رحمه الله– أثنى على هؤلاء الصوفيين" فأقول مجيبا: إن الشيخ ابن تيمية تكلم عن الصوفية بقدر ما عنده أو ما بلغه من محاسنهم فلهذا أثنى عليهم، فلو رأى أو بلغه أمثال ما أشرت إليه من الانحرافات الشنيعة البشعة والزلات الشديدة من هؤلاء الصوفية المذكورين لن يثني عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه رحمة واسعة، لأنه من الذين أنكروا أمثال هذه النزعات الصادرة من الصوفية المذكرين وغيرهم.

---

[١]- **كشف زيف التصوف وبيان حقيقته وحال حملته صـ ٥٧.**

المنهج السلفي لا بد منه

كما أن من عادة البشرية أنه إذا رفض شيئا ومال عنه لابد أن يتجه ويميل إلى شيء آخر يبدّله به، كذلك بعد ما قمت بالبحث الدقيق والتفحيص العميق فى التصوف أدركت- والحمد الله- أنه دخيل فى الإسلام وأن أساسه مخالف بما جاء به رسول الله-ﷺ- من عند ربه، فتبت إلى الله وتخلصت منه تخلصا تاما، وأسال الله تعالى أن يجنبني وأحفادي عنه وأن يخلّص منه جميع الذين ما زالوا فيه عقيدة وعبادة، فسلكت مسلكا سديدا ومنهجا قويما عقيدة وعبادة وسلوكا، وأسأل الله أن يميتني عليه ألا وهو المنهج السلفي، وما أدراك ما السلفية؟ فالسلف فى اللغة،الجماعة المتقدمون[١] ومعناه الإصطلاحي قال الإمام السفاربيني "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام-رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباع" وقال أبو حامد الإمام الغزالي فى تعريف السلف قائلا: "كلمة السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين"[٢] وقد صرح الشيخ آدم عبد الله الألوري معنى السلفية قائلا: "...السلفية الإقتداء والإتباع للقرون

[١]- لسان العرب لإبن منظور جـ ١ صـ ٣٣

[٢]- إلجام العوام عن علم الكلام، صـ: ٦٢

الأولى في الإسلام لحديث خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".[1]

والقرآن الكريم يدعو إلى الإتباع والإقتداء للقرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين عقيدة وعبادة وسلوكا، وذلك أن القرآن رغب المسلمين في الإيمان كإيمان أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾[2] فوجه الشاهد في هذه الأية: "بمثل ما أمنتم به" بمعنى كإيمان الصحابة رضي الله عنهم جميعا". كذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[3] فالشاهد في هذه الآية قوله تعالى:"ويتبع غير سبيل المؤمنين" ولاشك أن المؤمنين المذكورين في الآية الكريمة هم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين.

إذن فإن اتباع منهج الصحابة في الدين واجب لأنهم رأوا النبي وآمنوا به ورضي الله عنهم بما قاموا به من العبادات قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

---

[1]- دور التصوف والصوفية، ص: ٦

[2]- سورة البقرة، الآية: ١٣٧

[3]- سورة النساء، الآية: ١١٥

ﭐتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1].

فاعلم أيها القارئ الكريم أن كل الفرق والأحزاب الضالة الموجودة في الإسلام قديما وحديثا أمثال الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة والأشاعرة والماتردية والصوفية إنما ضلوا لتركهم منهج الصحابة في عقائدهم، لأجل هذا قام عبد الله ابن مسعود-رضي الله عنه- بدعوة الناس إلى التمسك بفهم أصحاب النبي وهو يقول: "ما كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم- فإنهم أقل هذه الأمة تكلفا وأعمقها علما قوم إختارهم الله لصحبة نبيه...

هذا حذيفة بن اليماني يرغب الناس في سلوك المنهج السلفي حتى في القراءة وهو يقول:"يا معشر القراء خذوا طريق من قبلكم فوالله لئن استقمتم ولقد سبقوكم ولئن تركتموهم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا"[2].

وقال إمامنا أبو عمرو الأوزاعي في دعوته إلى السلفية بما نصه "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول."[3] وكذلك شيخ الإسلام

---

[1]- سورة التوبة، الآية: ١٠٠

[2]- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي.

[3]- النهاية في غريب الحديث والأثر، جـ: ٣، صـ: ٣٩

بن تيمية أثبت أن الحق في اتباع منهج السلفية وهو يقول: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا".[1]

قلت هذا هو المنهج الصحيح والدين المستقيم الذي ليس له مؤسس إلا الرسول-ﷺ- وتمسك به أصحابه عقيدة وعبادة وسلوكا، فهذا المنهج يجب على كل مسلم أن يكون عليه. فتدبر أيها القارئ الكريم إن جميع الفرق المذكورة سابقا لها مؤسسون معينون ولها عقائد معينة خلافا لما جاء به الرسول-ﷺ- وفهمه أصحاب رضي الله عنهم، فعلى سبيل المثال، فعقيدة الشيعة مؤسسها أبو لؤلؤ المجوسي وعبد الله بن سبأ، وعقيدة المعتزلة أسسها واصل بن عطاء، والأشاعرة أسسها أبو الحسن الأشعرية، ومؤسس عقيدة الماتريدية أسسها أبو منصور الماتردي، وكذلك الصوفية وليدة الشيعة أسسها رجالها أمثال إبراهيم بن أدهم وأبو يزيد البسطامي والجنيد وعبد القادر الجيلاني وابن عربي والحلاج وغيرهم. وكل ما قلته تظهر حقيقته لمن راجع كتب الأديان والفرق والتاريخ الإسلامي.

---

[1]- **مجموعة الفتاوى، ج: ٤، صـ: ١٤٩**

أيها الأخ في الإسلام أمعن النظر وتفكر جيدًا في عقيدتك وعبادتك وسلوكك هل هي موافقة لهدي النبي وفهم سلف الأمة، وإن وافقت بهما فامض بها وإنك على الحق وعلى الدين الصحيح وأنت من أهل السنة (السلفية). وإن أدركت أنك على عقيدة أو عبادة أو سلوك تنتمي إلى أشخاص معينة أو إلي طريقة فلانة غير ما جاء بها النبي مُحَمَّد- ﷺ- وفهم أصحابه فإنك على البدعة والخطر، ودعني أفيدك بنصيحة شيخنا البربهاري-رحمه الله- الواردة في التحذير عن اتباع آراء أشخاص المخالفة لفهم ومنهج صحابة النبي وهو يقول: " فانظر رحمك الله من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ولاتدخلن في شئ حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي فإن أصبت فيه أثر عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشئ، ولا تختر عليه شيئا فتسقط في النار".[١]

أيها الأخ في الإسلام فهذه الأدلة المذكورة سابقا هي الأشياء التي اقتنعت بها بعد البحث الطويل حتى سلكت منهج السلفية وصرت سلفيا في العقيدة والعبادة والسلوك، وجعلتني تاركا للتصوف عقيدة وعبادة وسلوكا والحمد لله

[١]- شرح السنة صـــ ٨

الذي أراني الحق حقا ورزقني إتباعه، وأراني الباطل باطلا ورزقني إجتنابه.



مفاهيم خاطئة

لقد انتشرت مفاهيم خاطئة في أوساط المسلمين بصفة هائلة، فيجب على من فهم السنة قيام بتصحيحها، ليصبح فهمهم موافقا لمنهج أهل السنة والجماعة.

١- إنتساب التصوف إلى الإسلام:

إن من ضمن المشكلات التي تواجه خطري انتساب التصوف إلى الإسلام، فبعد ما قمت بالبحث في التصوف فحصلت على الحق النير الواضح والحمد لله على ذلك، أرى من الواجب علي أن أنظر إلى ما أدى الناس وحملهم على انتساب التصوف إلى الإسلام لأنه لم يكن بينهما علاقة في شئ بل هو يجري في واد والإسلام يجري في واد آخر، فأدركت أن بعضا من الباحثين يرى أن التصوف موجود قبل الإسلام بل ابتدع في الأديان السابقة كاليهود والنصارى والبرهمية والبوذية من قبل مخالفين لرسل الله عليهم السلام، كما أشار إليه صاحب كتاب (كتاب تاريخ الفلسفة) قائلا "والتصوف المسيحي تجانس الطبيعة والبرهمية والبوذية الفناء الذاتي والرجوع إلى حال الوحدانية البدائية الخالصة".[١]

---

[١]- تاريخ الفلسفة الإسلامية، صـ: ٣٢٣

نفهم من هذا النص المنقول أن هناك ما يسمى بالتصوف المسيحي والتصوف البرهمي وكذلك التصوف البوذي فلهذا يحتجون بصحة نسبة التصوف إلى الإسلام.

وإذا أردت أيها القارئ الكريم أن لا تحيد عن الحق وأن تهجر الباطل والهوى وتتحرى الصدق ترى أن هذا الانتساب ظلم ووضع شئ في غير محله لأن الرسول أتى بالدين الإسلامي بعقيدته وعبادته وابتدع الصوفية عبادات وعقائد غير التي جاء بها نبينا مُحَمَّد-ﷺ-، يا قارئ دعني أزيدك بيانا حول هذه القضية، أن كل من له أدنى العلم عن التاريخ الإسلامي يعلم أن أول عقيدة بدعية نشأت في الإسلام بعد وفاة الرسول-ﷺ- وأكمل الله دينه عقيدة وعبادة وسلوكا- عقيدة التشيع وذلك تفضيل علي-رضي الله عنه- على جميع الصحابة بواسطة مؤسس التشيع عبد الله بن سبأ، ثم عقيدة الخوارج أسسها أهل حروراء. ثم نشأت بعدهما عقيدة الاعتزال بقيادة واصل بن عطاء بعقيدة تتريل العصاة في المنزلة بين المنزلتين وتخليده النار في الأخرة،ولا ريب في أن هذه العقائد باطلة بالاطلاق لأنها لم توافق بما جاء به الإسلام. ولا أحد من المسلم يرضى انتساب شئ من هذه العقائد المذكورة إلى الإسلام مع أنها نشأت قبل التصوف، ولم نسمع التشيع

الإسلامي أو الاعتزال الإسلامي ولا الخارجي الإسلامي وكيف يسوغ قول التصوف الإسلامي.

فأقول إن نسبة التصوف إلى الإسلام خطأ وظلم فى القول لأن النبي-ﷺ- لم يأت بشىء غير الإسلام ولم يعلّم أصحابه شيئا غيره منذ بداية الإسلام إلى أن أكمل الله له دينه وأتم عليه نعمته، ما علمهم عقيدة التشيع ولا الخوارج ولا الاعتزال ولا التصوف بل حذرهم من ترك منهجه الأقوم وهو يقول فيما رواه عرباض بن سارية-رضي الله عنه-:"... فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بنواجذ فإياكم ومحدثات الأمور وإن كل بدعة ضلالة".[1] وكما في حديث حذيفة اليماني: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم قلت، وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم، وفيه دخن قلت: وما دخنه، قال: قوم لايهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت يارسول الله صفهم لنا، فقال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت فما تأمرني إن

[1]- سنن أبي داود الرقم ٤٦٠٧

أدركني ذلك، قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.[١]

٢- أ تكون سنيا أم صوفيا؟:

يعتقد معظم مسلمي نيجيريا حتى العلماء أن من لم يكن متصوفا لن يكمل إيمانه ولم يحقق إسلامه على الوجه المطلوب. قلت: هذا القول زعم لا يؤيده دليل شرعي، لأن نبي-ﷺ-لم يرسل إلى الناس بالتصوف إنما دعا إلى الإسلام، وهناك شبهات اغتر بها الصوفية فاعتمدوا عليها فى إثبات صحة هذا الكلام، منها: أن الإمام مالك-رضي الله عنه- قال: "من تفقه ولم يتصوف وقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه وقد تزندق ومن جمع بينهما وقد تحقق". قلت ليس لهذا القول سند متصل إلى الإمام مالك ولم يوجد فى كتابه أنه أثبت عقيدة من عقائد الصوفية بل أظهر سنة النبي واعتنى بإحيائها وحارب البدع والخرافات حتى كان يقول فيما رواه ابن عبد البر فى كتابه الجامع"إنما أن بشر أخطأ وأصيب فانظروا فى رأي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه".[٢]

---

[١]- صحيح البخاري، ٣٦٠٦

[٢]- صفة صلاة النبي، صـ: ٤٨

ولو افترضنا أن الإمام مالك دعا إلى التصوف وتلفظ بهذا المنقول آنفا لا يلزم الأخذ به، لأنه يخالف ما دعا إليه النبي- ﷺ- ويناقد أقوالاً أخرى من كلام الإمام مالك المتصل إليه سنده وتحرى به التمسك بسنة النبي ونبذ ما يخالفها حتى لو صدر منه وها هو يقول: "ليس أحد بعد النبي-ﷺ-إلا ويوخذ من قوله ويترك إلا النبي."[١] فهذه التبرئة الواضحة حجة على كل من يتخذ قول الإمام مالك دليلا لتمسك بدين التصوف.

وكذلك يزعم الناس أن الإمام الشافعي رغب المسلمين فى التصوف ودعا إليه وذلك فى كلام نسب إليه وهذا نصه "وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث: الخلق بالتلطف، وترك ما يؤدي إلي التكلف، والاقتداء بطريق التصوف،[٢] وشعر نسب إليه وهو كالآتي:

فقيها وصوفيا فكن ليس واحد ** وإني وحـق الله إيـاك أنـصـح[٣]
وذاك قاس لم يذق قلبـه تقا ** وهذا جهول كيف ذو الجهل يصلح

قلت: أما الكلام الأول لا يصح سنده إلى الإمام الشافعي لأن صاحب كتاب الإمام الشافعي والفكر السلفي لم يذكر

---

[١]- **صفة صلاة النبي صـ ٤٩**

[٢]- **التين والزيتون فى رد على تفنيد الظنون منقول من كتاب"الإمام الشافعي والفكر السلفي،صـ ٨٠**

[٣]- **ديوان الإمام الشافعي صـ ٣٤، موسسة الزعبي.**

المرجع للكلام الذي نسبه إلى الإمام الشافعي من كتبه ولا من كتب تلاميذه. وأما بيت الشعر المنسوب إلى الإمام الشافعي فى ديوانه لا يثبت أنه هو قائله لأن الشعر يخالف ما دعا إليه، وأن كل ما في الكتاب من القصائد ليس هو قائلها، وهذا ما أظهره وأعلنه جامع ومرتب الديوان مُحَّمد عفيف الزعبي فى مقدمته وهذا نصه "ونحن بعد هذا إذا ألقينا نظرةّ سريعة على هذه الأشعار بعد أن ننوه أنه لا يصح لنا أن نجزم بصحة هذه القصائد كلها للشافعي".[١]

فقد ورد عن الإمام الشافعي أقوال صحيحة متصل سندها إليه تخالف أنه يدعو إلى التصوف منها قوله رحمه الله "إذا وجدتم فى كتاب خلاف سنة رسول الله-ﷺ- فقولوا بسنة رسول الله-ﷺ- ودعوا ما قلت، وفى رواية فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد"[٢] وقال أيضا كل ما قلت فكان عن النبي خلاف قولي مما يصح فحديث النبي أولى فلا تقلدوني".[٣]

فبهذا نعلم أن نسبة التصوف إلى هاذين الإمامين: الإمام مالك والشافعي كذب وترويج لدعوة الناس إلى

---

[١]- **ديوان الإمام الشافعي، ص: ٤**

[٢]- **"المجموع" للنووي جـ ١ ص: ٦٣، وصحيح ابن حبان جـ ٣ صـ ٢٨٤ بسند صحيح وصفة صلاة النبي، صـ: ٥**

[٣]- **الحلية لآبي نعيم ٩ صـ ١٠٧ وصفة صلاة النبي صـ ٥٢**

البدعة، فكن -أيها القارئ- سنيا مقتديا ما عليه سلف الأمة لأن النبي-ﷺ- أوصى بالتمسك سنته وما كان عليه أصحابه إذا وقع إفتراق الأمة واختلافها كما فى حديث معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنه- قال:قال الرسول-ﷺ-: ألا إن من كان قبلكم افترقوا على اثنين وسبعين وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنان وسبعين فى النار وواحدة فى الجنة وهي الجماعة".[1] وفي رواية ما أنا عليه اليوم وأصحابي.



[1]- سنن أبي داود حديث ٤٥٦٩ إسناده صحيح.

الخاتمة

لله الحمد من قبل ومن بعد الذى بنعمته وفضله وكرمه تنال الأمانى ويحقق المقصود وتتم الصالحات.

وقد باح فى هذا البحث المتواضع السبب الوحيد لدخولى فى التصوف وانضمامى إلى الصوفية، ألا وهو قصد التقرب إلى الله تعالى، وبان فى البحث ماجربته فى الطريقة التيجانية حتى انسحبت منها فملت إلى الطريقة القادرية، وكذلك ظهرت الأدوار المهمة التى لعبتها عند ما كنت فى القادرية، ولايخفى فيه ذكر التحديات التى واجهتنى فى المجتمع مع الأخوة السنيين والمناقشات الحارة التى كنت أرسب فيها حتى عزمت وجزمت على أن أعرف الأدلة التى قام عليها التصوف.

ومن هنا شرعت فى البحث حول حقيقة التصوف ومفهومه ونشأته ومنهج استدلال أصحابه فى العبادة، فحصلت على أن التصوف يجرى فى واد والإسلام يجرى فى واد آخر. ثم أضفت ذكر إبرام البيعة عند الصوفية وشروطها بين المريد وشيخه، ثم تطرقت إلى بدعية تربية النفس التى كانت أصلا من أصول التصوف، وذكرت فى هذه الرسالة أقبح شىء جرى عليه البحث ألا وهو الاستغاثة بشيوخ

الصوفية حيث عرضت الشركيات الموجودة فى أوراد وقصائد القادرية والتيجانية وبينت خطر الشرك على الإنسان.

وكذلك ناقشت الشبهات التى اعتمد عليها الصوفية فى تجويزهم التوسل بجاه النبي وبجاه مشايخهم ثم سلطت الأضواء على الشبهات الذكر الجماعي ومخالفته لهدي النبي ثم تطرق البحث إلى إثبات أن العدالة لن توجد فى التصوف ولن يوجد صوفيا معتدلا اللهم إلا إذا تجرد عن كل ما يسمى بالتصوف عقيدة وعبادة وسلوكا.

وأخيرًا أوصى نفسى وجميع المسلمين بتقوى الله سبحانه ثم أخص نصيحتنى لكل الصوفية أن يعلموا أن التصوف منهج إعوج أصله ومبنى على مخالفة طريق النبي-ﷺ- عبادة وعقيدة، فحاول أيها الصوفي أن تنسحب نفسك من ظلمات التصوف ولا تتعلل أنك ولدت في الأسرة الصوفية ولا تنظر إلى علاقتك الوطيدة مع إخوانك الصوفية، واقطع رجاءك من الفوائد المادية التى تنالها فى التصوف، واذكر أنه سياتى يوم أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾[سورة الشعراء، الآية: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة عبس، الآية: ٢٤-٢٥] وقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟

مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ **[سورة البقرة، الآية: ١٦٦]**

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن لايجعل ندمنا فى يوم الأخرة. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



التصوف لماذا تركته

تعجب الناس في تركي تصــوفهم ** بل عيروني بأنواع المقــــولات
كأنني تارك الإســـــلام ملتنا ** دين رسول الهدى خير الــديانات
آمنت بالله ربا ثم أعبـــــده ** وبالرسول نبيا ذا شــــهادات
ولا أزال أصلى بل أصوم كـــما ** يصوم أهل التقا أهل الأمــانات
وأذكر الله بالأذكار دائمـــــة ** وأرفض البدع فيها والخــلوات
صبرا أيا سائلي هاك جوابي فـــلا ** تستعجلنّ هداك ذو الهــدايات
رفضي التصوف مشمول على علل** عظيمة فاسمعوا صدق المـقالات
إن التصوف في الإسلام بلبـــلة ** بل بدعة وضلال بالخســـارات
إن التصوف تغيير شريعـــــتنا ** إلى شريعة أخرى بالطّريــــقات
فبيعة عندهم فرض لشيخهـــم ** فيجعلون مريديهم كأمـــوات
فيستغيث المريد بشيوخهــــمو ** هذا لشرك عظيم من خـــطورات
تفضيل ما ابتدعوا في الدين حالهم ** على الذي نصّه خير الـــبريات
جاء الرسول بإسلام لأمـــــته ** لا بالتصوف مملوء الخرافـــات
فكيف أرض لنفسي أن تعيش على** مُضي الشرك أعوذ من ضلالات
ضرب الدفوف ببيت الله شأنهمُ ** رقصهموا كالنصارى ذي الجهلات
قراءة لصلاة الفاتح مـــــرة ** سواء ستين قرآن قـــــراءات
فمنهج السلفي الآن أسلــــكه ** بعد التصوف هذا من سـعادات
ثبتنى يا ربّنا بالحق دائــــــمة ** ما دمت حيا إلهي ذي العـنايات
فهمَ الهدى ربنا فانشـــره بين الورى ** وأهله ربّ فانصر بالكـــرامات

بعيد جنبني ربي وأحـــــــفادى ** عن التصوف لا نبغي الغـــوايات

شعر/عبد الفتاح سارومي

دعوتنا

يـا سـائـلي عن منهـج أتبـع اسمع حـديثي كالضيا يـلمع

فمنهج السلفي ذا منهجي ليخلو عنك الريب يا سامـع

نــدعــو إلى الله بـقـرآنــه خير الكتاب للهدى منبـع

بـــسنـةٍ صــحيحـةٍ نعمل نهمل كـل ضعف لا نفـزع

فـهـمـهـمـا بـفـهم ساداتـنـا خـير القرون نهجهم نتبع

تـنفـير شـرك كـلـه همـنـا بـين الـورى شـــروره تـطـلـع

فمسلموا اليوم على جهلهم عـاشـوا وماتوا حالـهم مفـزع

يـدعـون غـير الله في طلـبهـم فـذاك عين الشرك بل أبـشـع

نياس جـيلاني وغـيرهـمـا يدعـوهم الـناس كما نـسمع

تـغيـير كل بـدعة قـصـدنـا إلى الهدى جاء بـه شـافـع

بـدعـوة الـناس وإرشـادهـم بـكـل حـق عـندنـا نـصدع

لسـنا بحزبيين ما عـنـدنـا كلام سـر حيث لا يُـسمَـع

أتبـاع بنـائي وقطبي همـا صـوفيـة العصر فـذا شـائع

جميع الصوفية نصحي لكم أنتـم عـلى البـدع ولا تـنفـع

جماعة التكفـير نصحي لكم لتتركوا منهجكم فاخـلعـوا

غـايـتـنـا سـعـادة الـمـسـلـم كـمـا أراد ربـنـا الـواسـع

فـلا نخـاف لـومـة الـلائـم لأجـل التصـحيـح ولا نـخشع

صـل وسلمـن أيـا خـالـقي عـلـى خـلـيـل اللَّـه مـشـفـع

شعر/عبد الفتاح ساورمي

الشعر المنهجي

خبر أتى من مخلص الأنباء في الدخن فيه عصمة العقلاء
وصف لدعاة وإن مجيبهم مقذوف في النار بدون مراء
صدق الرسول وقوله هو واقع لوجود دعّاة إلى الإغواء
ولقد تنوّع مدعون لسنة وتنشرت أفكارهم بهواء
ولسانهم كلساننا إن حدثوا وجلودهم كجلودنا بسواء
لا تغترن منهم بتوفير اللحى وبقصر سروال من الإيماء
بنائيون وقطبيون فكلهم أتباع إخوان بدون خفاء
"تي أيم سي"[١] ثم "تضامن"و"تعاون متعصبون على الهوى وغواء
أصحاب السرية في اجتماع وإنهم تركوا اتباع المصطفى بولاء
بل إنهم أهل الضلال وبدعة صوفية العصر ذوي الجهلاء
وجماعة التبليغ تمزج السنة بالابتداع أتى من السفهاء
جعلوا الخروج واجبا في ديننا والله هذا غاية استبلاء
تركوا قيام ضدّ شرك وبدعة رفعوا لواء البدع والأهواء
إن التصوف ليس في إسلامنا ورجاله ليسوا من الكرماء
إهمال نص الشرع وهو التصوف وتسمك الأحلام والآراء
وكذا نرد فكرة التكفير إذ جاءت دعاة لنشرها بخفاء
متسترين باسم أهل لسنة يدعون بالشبهات والإدعاء

قالوا: بأن البدع كفر كلها من سلفهم في ذا من القدماء

ناديت كل الشباب أهل لسنة قوموا لدرء الشبه كالعلماء

سلفي كن في فهم كل أدلة افهم كفهم الصحابة الفضلاء

صل وبارك يا إلهي على الذي جانا بنور الهدي بالأنباء

١ – T.M.C شعر/ عبد الفتاح سارومي

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- إلجام العوام عن علم الكلام للإمام الغزالي.
٣- إضاءة البلاد بأنوار الميعاد لشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الكبري، دار الفكر بيروت لبنان.
٤- إحياء علوم الدين للغزالي ط/دار القلم بيروت.
٥- آثار العلوم والفلسفة والتصوف في مسيرة الدعوة الإسلامية.
للشيخ آدم عبد الله الإلوري ط/دار التوفيق والنموذجية مصر.
٦- الإبانة في أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري.
٧- الأذكار المنتحبة من كلام سيد الأبرار تأليف محي الدين ابن زكريا النووي.
٨- التيجانية دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة لشيخ علي بن الدخيل الله. دار طيبة رياض.
٩- التصوف الإسلامي، لشيخ زكي الدين مبارك.
١٠- التصوف الإسلامي الخالص- تأليف السيد مُحَمَّد أبو الفيض المنوفي، دار النهضة مصر.
١١- التصوف الإسلامي منهجا وسلوكا، تأليف عبد الرحمن عميدة ط/الكليات الأزهرية.
١٢- التصوف في الإسلام منابعه وأطواره، مُحَمَّد الصادق عرجون.

١٣- التصوف بين الحق وردود، تأليف مُحَمَّد فهر شفقة ط/ الدار السلفية.

١٤- التصوف المصوف المصدر والمنشأ. الشيخ إحسان إلهي ظهير.

١٥- التيجاني والمستقبل للدكتور الفاتح النور.

١٦- الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ط/ دار الحديثة قاهرة.

١٧- الصحيح في اللغة والعلوم.

١٨- الحزبية مفهومها حكما وخطر قديما وحديثا. الشيخ عبد الرؤوف بن بللو مطبعة الفوز.

١٩- الذكر الجماعي بين الابتداع للأستاذ دكتور عبد الرحمن الخميس دار الصفوة.

٢٠- الزهد للشيخ هناد بن السري.

٢١- الصلة بين التصوف والتشيع د. كامل مصطفى الشباعي دار الأندلوس.

٢٢- الطرق الصوفية بالسودان بروفيسو عبد الرحمن أحمد عثمان.

٢٣- الطبقات الكبرى- لعبد الوهاب الشعراني ط/ دار القلم القاهرة.

٢٤- العقل في التصوف الإسلامي الدكتور علي سلف ط/دار الهندي.

٢٥- الغنية لطالب الحق عزوجل، للشيخ عبد القادر الجيلاني. بيروت لبنان.

٢٦- الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية للحاج إسماعيل ابن السيد مُحَمَّد سعيد القادري.

٢٧- المنجد في اللغة والأعلام. الطبعة الثانية والثلاثون بيروت لبنان.
٢٨- المشوف المعلم في ترتيب الصحاح على حروف المعاجم لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري جامعة أم القرى.
٢٩- المسند للإمام أحمSد بن حنبلي مؤسسه قرطبة القاهرة.
٣٠- الهدية الهادئة إلى الطائفة التيجاني تأليف د. مُحَمَّد تقي الدين الهلالي.
٣١- المصباح المنير – للعلامة أحمد بن مُحَمَّد بن علي المقري الفيومي ط/ المكتبة العلمية بيروت لبنان.
٣٢- تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا – لدكتور عثمان عبد السلام الثقافي مطبعة كيوليرى.
٣٣- تذكرة الأولياء، لفريد الدين عطار. ط/بكسبان.
٣٤- تحفة الأحوذي شرح الترمذي تأليف مُحَمَّد عبد الرحمن عبد الرحيم المبركفوري مؤسسه قرطبة القاهرة.
٣٥-تفسير القرآن القظيم -أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.
٣٦- تلبيس إبليس-للشيخ ابن قيم الجوزية،دار القلم بيروت.
٣٧- جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد الطبري.
٣٨- جواهر المعاني وبلوغ الأماني، سيدي علي حوازم دار الفكر.
٣٩- حقيقة التصوف – الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.
٤١- ديوان الإمام الشافعي لمحمد عفيف الزعني ط/ موسسة الزعي.
٤٢- ربانية لا رهبانية، أبو الحسن الندوي دار الشروق.

٤٣- رسالة أخوية، فيصل بن عبده قاعد الحشدى.
٤٤- روح الأدب إبرهيم نياس الكولخي المترجم إلى اللغة يوربا بقلم علي أبوبكر جبتا.
٤٥- روح المعاني في تفسير القرآن – شهاب الدين السيد مُحَمَّد الألوسي أبي الفضل.
٤٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة – للشيخ ناصر الدين الألباني.
٤٧- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ ناصر الدين الألباني.
٤٨- سنن الدارمي– عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي دار الكتاب العربي.
٤٩- سنن الترمذي
٥٠- سنن ابن ماجه – أبو عبد الله القزييني دار الفكر بيروت
٥١- سنن أبي داود.
٥٢- سر الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار لشيخ عبد القادر الجيلاني. دار الفكر لبنان.
٥٣- سير أعلام النبلاء–للإمام الحافظ الذهبي بيت الأفكار الدولية.
٥٤- شرح السنة – للإمام البربهري. مكتبة دار المناهج.
٥٥- صحيح مسلم – أبي عبد الله مُحَمَّد إسماعيل بن إبراهيم البخاري. دار المناهج.
٥٦- صحيح مسلم – مُحَمَّد بن مسلم القسيري النيسابوري.
٥٧- صفة صلاة النبي – للشيخ ناصر الدين الألباني.

٥٨- طبقات الصوفية – لأبي عبد الرحمن السلمي دار الكتاب العربي بمصر.
٥٩- طبقات الأولياء – لابن الملقن. ط/ مكتبة القاهرة.
٦٠- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
٦١- فتح الباري في شرح صحيح البخاري– لابن حجر العسقلاني، دار الفكر.
٦٢- فواكه الصالحين القادرية في القصائد الذكرية – عبد الفتاح عبد الوهاب سارومي.
٦٣- في التصوف تاليف مُحَمَّد المبارك عبد الله ط/ وزارة الشئون الدينية والأوقاف جمهور سودان.
٦٤- كشف زيف التصوف، لشيخ ربيع المدخلي.
٦٥- لسان العرب– للعلامة أبي الفضل جمال الدين مُحَمَّد ابن مكرم ابن منظور ط/ دار صادر.
٦٦- رسالة أخوية فيصل بن عبدة قائد الحاشدي.
٦٧- مجموعة فتاوى ابن تيمية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني ط/ المكتبة التوقيفية.
٦٨- محيط المحيط تأليف بطرس البستاني دائرة المعاجم لبنان.
٦٩- معجم الوسيط – الدكتور أنيس إبراهيم وآخرون.
٧٠- مفهوم التصوف – تأليف عبد غالب الحمد عيسى ط/ دار الجميل.

فهرس الموضوعات